عندما ينطق الجماد

محمد مصطفى

دار الصفوة
للطباعة والنشر والتوزيع

الطبعة الأولى
١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م

ش. م. م. - الغردقة - البحر الاحمر ت. ٤٤١٣١٥ / ٤٤١٥٧٠ - فاكسميلي ٤٤١٣١٥ ت. القاهرة ت. ٣٦٠٦٢٢٠ - فاكسميلي : ٣٦٠٦٢٢٠

- **الغلاف بريشة الفنان مصطفى حسين**
- الكاريكاتير بريشة الفنان محفوظ آمين

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ
عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ
وَٱلْجِبَالِ ....
فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا ..
وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا ..
وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ؛
إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾

(صدق الله العظيم)

إهـــداء

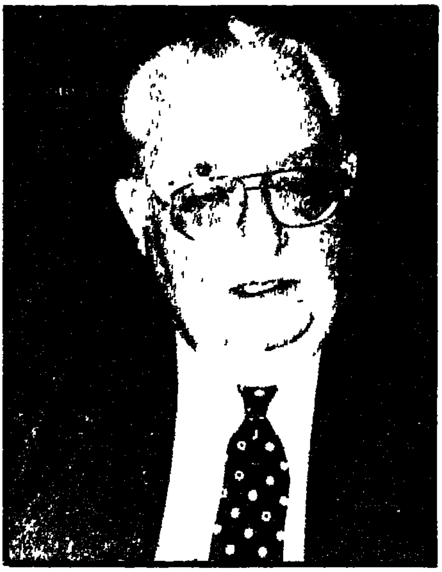
إلى أَهَمِّ مُثلَّثٍ فى حَياتِى...
زَوْجَةٍ.. مَعَها أيقنتُ أنَّ الوَفاءَ « كوثرُ » الحياةِ...
ابنتين ... زهرتين ... بحبِّهما يَتَفتَّحُ كلُّ ما فى النَّفسِ من « أمانِى » ... ، وما فى الروح من « إيمان » ...
لَكُمْ كلُّ الحُبِّ...
مِنكُمْ أحْبَبْتُ الحُبَّ...
معَكُم اكتشفتُ : أنَّ الحبَّ حبةٌ بالحُبِّ تَنْمو وتكبُرُ كلَّ يَومٍ...

محمد مصطفى

مقدمة

بقلم : الكاتب والأديب الكبير الأستاذ

ثروت أباظة



تقـديـم

إن هذا الكتـاب بين يديك يدل دلالة لا شك فيها على : أن مؤلفه كاتب متمكن قدير.. ولهذا ترددت طويلاً قبل أن أخط كلمة (تقديم) التى صدرت بها كلمتى هذه إليك فهو كاتب لايحتاج إلى تقديم، كما أن الكتاب نفسه يقدم نفسه فى طلاوة أخاذة، وفن أصيل.

فالأستاذ محمد مصطفى وقع على فكرة قصصية غاية فى الجمال، ورأى أن ينطق الجماد بما يراه هذا الجماد من البشر.

والجماد بغير بشر شىء لا قيمة له فإن قيمة الجماد تبدأ باستعمال البشـر له، وهو فى ذات الوقت وسيلة لا غنى عنها عند البشر، فكلاهما يكمل الآخر.

إلا أن الجماد شىء مغلوب على أمره لا حيلة له فيما يصرفه إليه هؤلاء البشر.

وهكـذا تولى الأستاذ محمد مصطفى إنطاق هذا الجمـاد؛ ليشكـو الظلم الوبيـل الذى يقـع عليه من الإنسان، ويظهر مدى خبث الإنسان وسوء طويته.

وأجـال الأستاذ محمد مصطفى عينيه فى جنبات الحياه فكان اختياره لأصناف الجماد غاية فى الإبداع والإنصاف فى وقت معا.

وأشهد لقد رُد الى ما اختاره من أنواع الجماد العدل الذى يفتقده، فلا يجده، وأشهد أنه بما كتب قدم الينا لوناً جديداً ممتعاً من القصة المعاصرة الحديثة : بعيدة كل البعد عن الخرافات التى يفتعلها كتاب القصة، ممن يسمون أنفسهم: كتاب اللا معقول.

بل هى قصص رصينة كلها منطق، وعقل، وطلاوة، يجتذب القارىء اليها تشويق ممتع، وأسلوب غاية فى الرصانة والإمتاع.

لهذا جميعا أفضل أن يكون عنوان كلمتى تهنئة وليست تقديم.

ثروت أباظة

قبـل أن نقـرأ

عشر سنوات كامله مرت منذ أن صدر «الجزء الأول» من هذا الكتاب فى بداية عام ١٩٨١ تحت عنوان: (رحلة السندباد فى أعماق الجماد).

وقتها انبرى بعض الكتاب والأدباء يقيِّمون هذه التجربة، وقد كان تشجيعاً كريماً منهم عنـدمـا وصف بعضهم فكرة الكتاب. بأنها جديده وتستحق التطوير وطالبنى البعض منهم بمواصلة إثراء التجربة وإمدادها بعناصرالكتابة الاجتماعية والأدبية...

وقد ذهب بعض الأدباء إلى القول: أنها محاولة الكتابة بأسلوب العصر العباسى خاصة (ابن المقفع)؛ حيث كانوا يسوقون أفكارهم الانتقادية على لسان حيوانات تتحدث عن معاناتها.

ظلت فكرة كتابة «الجزء الثانى» من الكتاب تراودنى، وتلح علىَّ طوال هذه السنوات العشر.. كنت أفكر دائما فى شخوصى الجديدة... فقد قدمت فى «الجزءالأول».. الدينار، والشاطىء، وسماعة الطبيب، والفستان والمرآة، والشقة الخالية، وصندوق القمامة، والتلفزيون، والطائره، وغيرها..

ولقد كان نفاذ الطبعة الأولى عن آخرها بعد أيام من صدور الكتاب ـ مسئولية كبـيرة تواجهنى كلما بدأت الاستعداد لكتابة «الجزء الثانى».. وهناك أيضاً سبب جوهرى كان وراء مرور العشر سنوات الماضيه دون ظهور «الجزء الثانى».. من الكتاب.. وهى تلك الدوامة السريعة التى درت فيها طوال السنوات الأخيرة، وأنا أحاول تثبيت أقدامى، وأن أجد لى موقعاً فى بلاط صاحبة الجلالة... من أعمال صحفية متواصلة أسجد لله شاكراً أن بعضهـا قد وجـد استحسـانا فى نفوس القراء وكذلك لدى أساتذتى وزملائى فى مهنة البحث عن المتاعب...

وكما هو معروف فإن الكتابة الأدبية تحتاج قدراً متزايداً من التفرغ والتركيز وهو أمر لم يكن سهلاً وسط خضم مسئوليات يعلمها القريبون منى . ، والذين يمرون فى نفس الظروف ، أو يراقبونها عن قرب .

بقى أن أقول . . . إنها محاولة لاستنطاق الجماد . . . ورصد نبضه . . والقرب من أعماقه ومشاعره . . . ، وسماع أنينه وترجمة معاناته . . . ، والوقوف على آرائه فى تعامل الإنسان غير المتحضر معه . . . ، وقسوته عليه إضافة إلى صلفه وغروره .

إنها تجربة إنسانية أقدمها للقارىء العزيز آملاً أن يراها أكثر ثراء من تجربة «الجزء الأول» . . فعشر سنوات من الجهد الفكرى ، والصحفى والإعلامى . . لابدَّ وأن لها معطياتها ، وانعكاساتها على أسلوب الكاتب وهو ما أتمنى أن يكتشفه القارىء العزيز بين سطور هذا الكتاب .

محمد مصطفى

يوميات
دفتر شيكات


دفتر شیکات
ON DOLLAR

لست من الذين يحبون كتابة المذكرات واليوميات والخواطر. فأنا بطبعى وبحكم تكوينى، ودورى فى الحياة تعودت على الكتمان؛ لكنى لجأت اليوم لهذه الوسيلة بعدما قرأت بحثا لواحد من كبار علماء النفس من بنى البشر يؤكد فيه: أن كتابة المذكرات والخواطر تخفف الشعور بالحزن والألم.. أنا حزين.. حزين بكل ماتحمل الكلمة من معان.

لقد تكالبت على كثير من الهموم، والمشاكل وأصبحت لا أطيق الحياة مع هذا المخلوق المسمى: إنسان... لولا طبيعتنا نحن الجماد، وتكويننا النفسى المتوازن والذى يختلف عن البشر... لولا ذلك لفكرت مثلهم فى حماقة الانتحار عندما يلجأ اليها بعضهم فى مواجهة مشكلة غالباً ما تكون من صنع يديه.

بعد أن قام صانع ماهر، وماكينة حديثة فى تجميع ورقاتى الخمسين المزخرفة بألوان زاهية وخطوط متناسقة وبيانات واضحة بعد أن اعتلاها اسم البنك العملاق الذى أنتمى إليه مكتوبا بخط عريض منمق وبحروف ذهبية لامعة.

بعد هذه المرحلة ضمتنا أيادٍ أخرى جمعت الصفحات الخمسين ووضع فوقها وتحتها غلاف أنيق وتمت عملية التجليد. منذ ذلك اليوم أصبح لى كيان... كيان محترم... ينتظر دوراً قيل: إنه هام.. أُودعت مع أشقائى الدفاتر فى خزانة كبيرة تمهيداً لعملية التوزيع على العملاء.

بينما نحن فى تلك الخزانة التى يسودها الدفء والتى لفتها الظلمة من كلٰ جانب ـ سمعت همهمات بين الأشقاء... أخذت اتابع... كانوا يتحدثون عن الخطوة القادمة، ويتساءل كل منهم: ترى سيكون من نصيب من..؟ تماماً كما تفعل بنات حواء عندما يشتد عودها وتبدو الأنوثة تسرى فى كيانها. ترى من هو العريس؟.. سمعتهم يقولون: الدفتر الكبير للشركات والمؤسسات والدفتر المتوسط ـ مثلى ـ للمكاتب، والأفراد، وذوى التعاملات الكثيرة.

اما شقيقاتى الصغيرات فهن من نصيب متوسطى الحال الذين يحصلون على دفاتر الشيكات؛ من أجل الوجاهة، والتظاهر. فهم عادة يضعون مبالغ متواضعة

فى حسابات يفتحونها خصيصاً للحصول على الدفتر، وسرعان ما يسحبون أرصدتهم ليتركوا الدفتر المسكين يرتعش بلا غطاء.

كان الأشقـاء لا يزالـون فى حديثهم، وأنـا أستمـع ـ حتى عم الضـوء أرجاء الخزانة ـ، وفتح بابها، وامتدت يد تحمل مجموعة من الدفاتر: كنت واحداً منها. . بدأت عملية التوزيع. . وضعونى أمام موظف هادىء الأعصاب . . . يبتسم لكل من يحدثه. . . إنه على ما يبدو مدير حسابات العملاء، أو الحسابات الجارية.

عندما جاء دورى حمل الموظف المهذب ورقة صغيرة من أمامه سجل عليها بعض البيانـات الخاصة بالعميل الذى سيملكنى، ثم شبك الورقة بدبوس فوق غلافى، ونادى على أحد السعاة، وقال ـ بحزم ـ : إذهب بهذا الدفتر للأستاذ سمير شاهين وانتـظره حتى ينتهى من طبـاعتـه، وأحضره لى فوراً. . قال الساعى ـ مستفسراً فى دهشـة ـ : (سيادتـك بتقـول فوراً. . . يعنى النهارده. .) رد الرجل فى حزم وقال: (دلوقتى حالاً. . .)وراح يطلب سمير شاهين بالتليفون مؤكداً على سرعة إنجاز الدفتر حيث إن العميل المهم جداً مشرفاً فى غرفته. . ذهب الساعى ـ وهو يتمتم بكلمات غاضبة ـ. (دلوقتى حالا. . . أيه الكوسة دى. . . بنك كوسة. . . وبلد كلها كوسة فى كوسة. . . يعنى لو عميل تانى كان طلب منه الحضور بعد أسبوع. . . حاجة تغيظ. .).

سلمنى الساعى المستاء. . لشخص آخر أكثر استياءً. . ألقى بى على مكتبه بعنف وهـو يقـول: (يعنى لازم النهارده. . . كان حضر بعد يومين. . . هى الدنيا حتطير. . ياساتر).

دقائق معدودة وكان العمل قد انتهى فوق غلافى الخارجى وصفحاتى الخمسين فلم يكن الأمر سوى كتابة: أسم العميل، ورقم حسابه وكان الرقم من فئة أل(فى أى بى)ثلاث ستات يعنى(٦٦٦) وألحقهم بحرف(ج)لقد طبعتها على صدرى وصفحاتى ماكينـة متقـدمـة جداً وسريعة. . لا أعرف لماذا غضب الساعى والموظف طالما أن الموضوع كله لم يستغرق سوى دقائق معدودة أشعرت العميل بالرضـا (والبرستيج).

فى أدب جم سلمنى الموظف المبتسم للعميل المتأنق قائلا: أنت تأمر يا جلال بك. . .

هذه اللحظة هى أسعد لحظات حياتى . . الجماد يسعد ويزهو عندما يقوم بدوره فى إسعاد الناس، وتقدم البشرية . . . ، يشعر بالثقة بالنفس عندما يكون موضع ثقة الآخرين . . . ، عندما يساهم فى تنظيم التعاملات بينهم فى إطار من الاحترام والالتزام والوضوح . . . ، أليس هذا هو الدور الذى ينتظر صفحاتى الخمسين؟ .

وضعنى الرجل فى شنطة يده الأنيقة، فوجئت أن لى زملاء كثيرين من نفس جنسى يقبعون فى هذه الشنطة المنظمة بعناية . . أخذت أتفحص وجوههم . . . إنهم مثلى يحملون نفس الاسم . . دفتر شيكات . . الخلاف فقط فى: الأرقام، واسم البنك . . . وجدتهم جميعا يرحبون بى . . . لكنى لمحت نظرة إشفاق من أحدهم . . . قال لى هامساً: ياصديقى . . **لاتغتر باسم البنك العملاق الذى أصدرك ولا حتى للرقم المميز الذى تحمله المهم ياصديقى(الغطاء)** . . قلت وماذا تعنى . . . قال: بعد أن تستريح قليلا سوف أشرح لك كل شىء . . سوف أنقل اليك تجاربى مع هذا الرجل(الغريب) الذى يملكنا .

وأرجو ألاَّ تكون مثل بنى البشر الذين لايقبلون نصائح أقرانهم ممن سبقت تجاربهم؟ ويتهمون من يسدى إليهم النصيحة بأنهم جهلة لا يفقهون . . . إلى أن تقع الفأس فى الرأس ويقول ياليتنى . . . ولكن بعد فوات الأوان.

قلت لزميلى :حاشا الله أن أكون مثل البشر فى صلفهم وغرورهم . . أرجوك اشرح لى تجاربك لأتعلَّم منها . .

بدأ فى شرح بعض متاعبه، ومتاعب باقى الزملاء . . . وفجأه غمرتنى الأنوار . . . فقد فتح صاحبى الحقيبة، وتناولنى، ـ وظل ـ لبعض الوقت ـ يتأمل صفحاتى .ـ وهو يضع بين شفتيه سيجاراً ضخما يكمل به جو الأناقة الذى يحيط به سواء فى: مظهره، أو أثاث مكتبه، أو فى تلك السكرتيرة الحسناء، التى ظلت تعرض عليه البريد ـ فى دلال أنيق ـ وبصوت يعزف الكلمات قبل أن تنبس بها الشفاه.

فى هدوء تناولتنى هذه الحسناء وقالت ـ بنبرات ذكية ـ: سيادتك فتحت حساباً جديداً . . الله دا رقم يجنن . . تلات ستات مرة واحدة(٦٦٦) .

كانت السكرتيرة تريد أن ترفع الكُلفة مع المدير الذى حاول أن يبدو رصيناً فنطق

بكلمة واحدة(كله بثوابه)وأردفت هي قائلة: لا وانت الصادق. . كله بفوايده فرد ـ بحزم ـ: مين اتصل بي؟

من جديد. . . عاد صوتها يعزف حروفاً وكلمات. . . أسماء وأسماء. . . كنت أتراقص طربا واستحسانا. . كدت أُصاب بإغماء لذيذ من روعة العطر الذى اجتاحنى من يديها الناعمتين وهما تضمانى. . إن هذا العطر الفواح. الذى ينتشر شذاه فى أرجاء الغرفة منذ أن دخلتها، جعلنى أتساءل كيف سيتحمله هذا المسكين؟ والى متى؟

طال بى التـأمـل وهى لاتـزال تغـرد. . . ولايزال سيل من الأسئلة تدق على رأسى. . . إذا كان هذا هو حال السكـرتيرة، التى تبدوا أمام مديرها آيةً فى الرقة، والجمال، والأنوثة فما بالها فى بيتها وأمام زوجها. . . ثم إذا كانت السكرتيرة تصنع حول الـرجل كل هذا الجو المبهج فما الذى تصنعه له زوجته فى بيته؟ . . . فهى المعنية بإسعاده ورعايته .

إن أجواء الموسيقى الناعمة والزهور الباسقة فى ارجاء المكتب وكل ما ذكرته من عطر، وأناقة، وأنوثة السكرتيرة الحسناء. . هو السعادة بعينها. . أما منزل المدير فلا بد أنه الجنة بكل ما تحمل من أوصاف.

ياالسـعـادة هؤلاء البشر! . . . كل شىء فى هذه الـدنيا مسخـر لخدمتهم وإسعـادهم. . . كل شىء يحيط بهم جميل. . . مريح. . . رائع. . . صحوت من تأملاتى على صوت السكرتيرة، تقول لمديرها ـ وقد زادت مساحة الدلال فى صوتها ـ: سيادتك عندك دعوة مهمة يوم الخميس. . . حفل عيد ميلاد.

رد قائلا: مين ده ياترى؟.

قالت: أنا يافندم. . أملى تشرف سيادتك فى حفل عيد ميلادى .

صمت الرجل برهة، وسألها: فين دفتر الشيكات الجديد؟.

ناولتنى له برقـة. . سطر فوق الشيك الأول هذه الكلمات. . تاريخ اليوم. . لحامله. . فقط ألف وخمسمائة دولار. . . وفى الجزء الأخير من الشيك والذى يسمى: الكعب. سجل: كلمات تبرع خيرى، ثم فصل بين الشيك، والكعب وأحضر مظروفاً من أمـامـه وضـع فيه الشيك، وسلمـه لسكـرتـيرتـه قائلاً: كل سنة وأنت طيبة يا شريفة. . . أناآسف جداً؛ سأكون مسافراً يوم الخميس، لكن قلبى معاكى. . . معلش دى هدية بسيطة.

الآن فقط عرفت أن السكرتيرة الحسناء اسمها «شريفة» ياله من اسم جميل خاصة إذا كان على مسمى. . أما شريفتنا هذه فلا أعرف أين تقف من اسمها.

قالت شريفـة ـ وهى تتسلم المظروف ـ : مش معقول كده ياافندم. . أنا كان يهمنى أكثر وجود حضرتك. . معقول آخذ فلوس.

هدأ المدير من روعها وقال: أنت تعملين معى من ستة أشهر وتعرفين طبعى. . . أنـا راجل عملى وأحب سكرتيرتى تكون عملية مثلى. . . وبعدين ياستى دى مش فلوس . . . ده شيك. . . أنـا كتبتـه لحامله حتى لا يعـرف أحـد من المـوظفين، وبإمكانك تظهيره لأى شخص يصرفه.

قالت ـ بدلال ـ: على كل حال شكراً ياافندم.

قال جلال ـ وهو ينظر لسكرتيرته الحسناء نظرة ذات مغزى ـ: عندما أعود من السفر حعملك عيد ميلاد خاص لكن على طريقتى.

خرجت السكرتيرة وهى تحمل الشيك الذى انقطعت صلتى به، ولا أعرف: ماذا فعلت به شريفة؟

كان هذا هو الشيك الأول. . أول ورقة فى كيانى. . أعترف أنى سعدت أول الأمر عندما سلم صاحبى الشيك لهذه الحسناء. . . فقد لمسته أناملها الرقيقة. . وربما غمره بعض من عطرها الفواح، وقد تشترى به ضـمن ما تشترى فستاناً أنيقاً، زجاجة عطر راقية، باقة زهور باسقة، لوحة جميلة معبرة، أو أى من الأشياء التى يمكن أن تشتريها حسناء مثل شريفة.

وهنا أتوقف قليلاً لأقول إن الجماد يسعد بالجمال وتكون قمة سعادته عندما يكون فى خدمة هذا الجمال.

ما هى إلا لحظات حتى ألقانى صاحبى فى حقيبته وخرج مسرعا فقد كان على موعد مع رجل أعمال مثله فى أحد الفنادق.

ما إن دخلت إلى الحقيبـة، حتى تلقفنى زمـلائى ـ فى فضـول كبـير ـ أخـذوا يتساءلون: وهم يقلبون محتوياتى، وقد أكتشفوا: أن الورقة الأولى قد حررت لفاعل خير بمبلغ ألف وخمسمائة دولار. . نظروا الى بعضهم البعض فى دهشة وهم يتمتمون: ألف وخمسمائة دولار لفاعل خير. . كيف؟

لم تتبدل دهشتهم، إلا عندما شرحت لهم حكاية السكرتيرة الحسناء. . . قلت لهم كل ما حدث بين المدير، وشريفة، وكانت المفاجأة، فقد فتح كل منهم أوراقه ووجدت فيها جميعا: اسم فاعل خير.

سألت: هل أخذت شريفة كل هذه الشيكات؟

قال كبيرنا: ليست شريفة هذه بالذات ولكن شريفات أخريات. . . تأتى الواحدة منهن للعمل وبعد بضعة أشهر تبدأ شيكات التبرع الخيرى تنهال عليها فى نفس الوقت الذى تنهال على صاحبنا القبلات التى تتبعها الرذيلة كاملة.

أخذت أستعرض مبالغ الكعوب التى كتب عليها تبرع خيرى بأرقام مختلفة ٦٠٠ ـ ٢٥٠ ـ ٤٠٠ ـ ٣٠٠ ـ ٥٠٠ الخ.

قلت: ولكن الأرقام كلها لا تحمل رقما مماثلاً للألف وخمسمائة دولار التى حصلت عليها شريفة.

رد الزملاء ـ وفى صوت واحد تقريباً ـ: ألم تقل لنا أنها رائعة الجمال. ؟ ألا تعرف أن لكل شىء ثمنه؟ وعادة ما يكون الشيك الأول بمبلغ كبير حتى يكون الإغراء شديداً.

لفنى حزن شديد من كلام زملائى. . انتحيت زاوية بأقصى الحقيبة أخذت أردد ـ فى نفسى ـ: أهكذا ياشريفة. . .؟ أهذا هو ثمن العفّه والفضيلة؟ كيف ستواجهين نفسك؟ كيف ستحملين اسمك وقد أبدع الله فى رسمك؟

دقائق من هذا التأمل المرير، ثم فتح صاحبى حقيبته، وبحث علىَّ دون أقرانى وأخذنى، ووضعنى فوق الطاولة، وهو لايزال يتحدث إلى صديقه. . . سمعته يقول له: إن صفقة السيارات هذه مضمونة مائة فى المائة. . لقد رتبت كل شىء. . . التجار والجمارك. . . كل شىء. . ما هى إلا ثلاثة أسابيع فقط، وتنتهى الصفقة، وتربح مئات الألوف.

وكان صاحبه يستمع فى اهتمام، ويتفحص وجه صاحبى الذى كانت تبدو عليه كل علامات الجدّية، والصدق، والذى فتح غلافى، وتعمَّد أن يبدو كعب الشيك الأول(تبرع خيرى) ثم بدأ يسطر الصفحة الثانية. . . شيك جديد. . . إنه مبلغ كبير. . . كبير جداً. . . سلم صاحبه الشيك بعد أن فصله عن الكعب، وقام

صاحبه بتسليمه شنطة فتحها له، وقال: عدّ الفلوس؟ أغلقها صاحبى فى حزم. . . قائلا: عيب ياراجل الدار أمان.

كان يوماً مرهقاً للغاية. . . أخرجنى صاحبى ـ خلاله ـ تسع مرات، : هذا لتاجر سيشارك فى ذات الصفقة، ثم شيك آخر كبير فهمت أنه رشوة لأحد البشر معدومى الضمير، وهذا شيك قدمه تسديداً لدين قديم، وشيك: لزوم الفيلا الجديدة بالغردقة للديكور، والاثاث، أما الشيك التاسع فقد كان بقية ثمن لنش الصيد الذى اشتراه صاحبى من قبل، ولم يتسلمه، حيث إن هذا الشيك هو أحد شروط التسليم.

لا أكاد أفهم: لماذا أخذ الرجل كل هذه الأموال لعمل صفقة السيارات إياها؟. لماذا يسدد جزءاً كبيراً من المبلغ فى أشياء تبدو لى غير ضرورية؟ أنه أمر البشر الذى لا يخلو من العجب والريبة.

مضى أكثر من شهرين. . . صاحبى لم يعد يستعملنى كثيرا. . وذات يوم فتح الحقيبة والتقط منها سيجاراً ونسى الحقيبة مفتوحة ـ وكان يوما لا أنساه ـ كانت شريفة قد غيرت موقعها. . . فبدلاً من أن تقف أمامه أو حتى بجانب مكتبه. . **وجدتها قد وقفت خلف مقعده وهى مائلة للأمام وقد وضعت راحتيها على كتفيه. . ياإلهى. . ما هذا الذى أراه؟. . أهذه (شريفة)؟. . شريفة فى ماذا إذن؟ كان المدير يتحدث فى التليفون وهو فى حالة يرثى لها ـ رغم مداعبات السكرتيرة الحسناء (اللاشريفة).**

توقف فجأة عن الحديث، واستأذن محدثه للحظات أمر فيها السكرتيرة أن تتركه الآن وتعود بعد المكالمة. . . غمزت بعينيها، وخرجت ليواصل حديثه، وهو يقول ـ لمن يتحدث على الطرف الآخر ـ: ياباشا إحنا أصحاب من زمان. . . أرجوك، اتصرف إما تأخر صرف الشيك أسبوعين ثلاثة، أو تصرفه على المكشوف، وأنا رقبتى سدّاده.

كنت أسمع صراخ الرجل على الطرف الآخر وهو يصيح: أنت عايز تودينى فى داهية. . . لايمكن نصرف على المكشوف. . . دبر حالك مع العميل.

انتهت المكالمة العاصفة مع مسئول البنك بعد أن اتفق معه على مهلة أسبوع واحد.

كانت الأموال التى حصل عليها صاحبنا من البنوك، والتجار، والأشخاص

كبيرة. . كبيرة جداً. . . بالملايين. . . أنفق جزءاً كبيراً منها فى سخافات مخجلة.

دخلت السكرتيرة قال قال لها ـ بحزم ـ: «احجزْلى تذكرة على أول طائرة لأثينا»
قالت: أمتى يا افندم؟.

قال ـ وقد علا صوته ـ: قلت فى أقرب فرصة اليوم. . . الآن. . بسرعة من فضلك.

انصرفت وقد اصفرّ وجهها الأبيض، فقد كانت تعرف الكثير، وتشعر أن مديرها يستعد للهرب. سادها ارتباك شديد. . لاأعرف ما هو السبب؟ اننى لم أرها منذ الشيك الأول. . ترى ماذا حدث لها؟ أشعر أن شيئا ما قد حدث. . . أشعر بذلك منذ أن رأيت يدها فوق كتف مديرها. . . شعرت أنها لم تعد شريفة.

انشغل صاحبى بجمع أوراق كثيرة، وملفات من خزانته كان يلقيها بسرعة فى الحقيبة.

دخلت السكرتيرة من جديد تبلغه: بأن المقدم حامد عوض من المباحث يريد مقابلته. . صمت برهة. . وقال: دعيه يدخل. . أبلغه رجل الأمن بإجراءات قد اتخذت ضده. . قال له: سيادتك مقبوض عليك. . لم ينطق جلال بكلمة واحدة. . . لكن المفاجأة تفجرت عندما دخلت شريفة وقد ابتسمت ابتسامة تحمل كل معانى التشفى، وقالت لمديرها: سيادتك مصمم على حجز التذكرة بتاعة أثينا اليوم. . . قالتها وأطلقت ضحكة لا تتفق مع اسمها. . . بصق المدير على وجهها وهو يترك مكتبه مع رجل الأمن الذى وضع فى يديه أساور حديدية. وبعد ماذا أقول؟. ماذا أسجل؟. هل البشر أغبياء إلى هذا الحد؟. . أم هم يستخدمون ذكاءهم فقط فى الشر؟. . آه لو استخدم الإنسان عقله فى سائر أمور حياته! لأصبح بحق جديراً بهذا العقل الذى ميزه به الله علينا نحن الجماد !.



يوميات ميـــزان



- هى دى التسعيرة ومن غير ميزان... فاهم.

أنــا واحــد من الأدوات التى لا تحصى ولا تعـد. . ولكـل من تلك الأدوات خصائصها التى تميزها عن غيرها. . لكنى أشعر ـ وبشكل خاص ـ بالزهو، والحبور لما أرمز له من حق وعدل. . وعلى الرغم من أننى أنتمى إلى جنس الجماد. . وهو من المخلوقـات التى سُخِّرت لخدمة الإنسان. . إلا أن العلاقة بينى، وبين بنى البشر ليست على ما يُرام. . أقسم لكم: أننى لستُ البادىء بسوء العلاقة. . لكنه. . هو. . الإنسان ذاته لايتقى آلله فى سلوكه. . وباعتبارى أحد الأدوات التى ستنطق يوم القيامة وتشهد عليه. . فإنى أُشفق عليه من عذابٍ مهين سيلقاه فى الآخرة: يوم لا ينفع مالٌ ولابنون.

سوف أشرح لكم فى عجاله. . وفيما أتيح لى من سطور، قد تضيق بما لدىَّ من سلبيات لمخلوق هو بفعـل إرادة الله، وحكمتـه، أرفـع من جنسنـا شأنـاً، ومقاماً ومنزلةً. . وهو أمر ليس بوسعى أن أقترب منه مقدار أنملة. . . فعندما يتعلق الأمر بمشيئة الله. . فلا اقتراب.

كما تعرفون فإن دورى فى الحياة هو إقرار العدل. . لذا فتجدوننى رمزاً للقضاء والعدالة.

خلال مسـيرتى فى هذه الحياة عملت فى أكثـر من مكان. . وكُلِّفت بأكثر من عملٍ. . لكن الدور بقى واحداً، وعلى الرغم من عمليات التجديد والتطوير التى أدخِلَت على كيانى. . لكننى ظللت وسيلة للحكم بين الناس.

فى البداية. . كان عملى فى محل لبيع الفاكهة والخضار يسمى: (فكهانى الأمانة).

وللوهلة الأولى ربما يعتقد البعض، أن شكواى ستجىء فقط من البائع الذى يتعمـد أن يضـع كمية أقـل من حق الـزبـون، ويستخدمنى فى إيهامه بأن الوزن مضبوط. . إن ذلك يحدث كثيراً: فمن البائعين: من يعبث فى أجزائى، لترجيح الكفة التى بها بضـاعتـه أكثـر من قطعة الحديد التى توضع فى الكفة الأخرى؛ لتحديد الكمية، ومنهم من يضع مع السلعة الموزونة ـ وبخفة يد تفوق الحواة ـ يضع قطعة

حديد، أو حجراً، مستخدماً مهارة كبيرة بحيث لا يلاحظها الزبون، وفريق ثالث يمد أحد أصابعه ـ وبسرعة كبيرة أيضاً ـ فى اتجاه الجانب الذى فيه السلعة ليضغط عليه لأسفل حتى تميل الكفة، وهكذا.

كل هذه وسائل قديمة استطاع الكثير من البائعين معدومى الضمير أن يغشوا بها زبائنهم. . لكن البعض من هؤلاء الزبائن استطاع كشف هذه الألاعيب، وعادة ما تكون النتيجة. تبادل الألفاظ النابية والاتهامات.

أما صاحبى الذى عملت عنده لعدة أشهر، فكان بائعاً شريراً بكل المقاييس. . فقد ابتدع حيلة خبيثة:

لقد أحضر عدداً من الأكياس، ووضع بها فاكهة، معظمها معطوب وركنها بجوارى، وما أن يأتيه الزبون يطلب عنباً أو تيناً أو أى فاكهة أخرى حتى يعطيه كيساً فارغاً ويظل الزبون ينتقى حبات الفاكهة الناضجة، والنضرة ويسلمها للبائع، لوزنها. **لكن الملعون ـ وبخفة حركة متناهية ـ يقوم باستبدال الكيس بالكيس المجاور لى والذى يضم الفاكهة المعطوبة، وبعد أن يشرب الزبون المقلب يعود البائع لتفريغ الكيس الذى انتقى الزبون حباته بعناية. . يفرغه مع الفاكهة التى يعرضها وكأن شيئاً** لم يكن.

يا لهؤلاء البشر معدومى الحس والضمير. . إن ذلك لايحدث فقط مع بائعى الفاكهة وحدهم، لكن كثيراً من الجزارين يفعلون ما هو أكثر بشاعة من ذلك!، فلا يكتفون بالورق السميك جداً الذى يزنونه مع اللحم!، ولا بقطع الدهن التى يدسونها وسط اللحوم رغماً عن أنف الزبون. . ولا بالمغالاة الكبيرة فى السعر، بل إن البعض منهم ـ وأيضاً بخفة يد قد لاتتوفر لدى الحواة ـ ينتهز فرصة انشغال الزبون بأى شىء ويقوم أثناء تقطيعه اللحمة التى وزنها ـ والتى يصل مقدار نقص وزنها حوالى ٢٠ ٪ من الوزن المطلوب ـ يقوم كذلك باستبدال بعض قطع اللحم بنوع آخر من اللحوم يقل ثمنه عن النوع الذى اشتراه الزبون، بل إننى لاأبالغ اذا قلت: **إن بعضهم يبيع لحم قطط، وكلاب، على أنها لحوم أغنام، وأبقار. . وهؤلاء هم قمة البشاعة والانحطاط.**

لقد ألَحّ علىَّ سؤال كبير. . لم أعرف له إجابة. . لماذا يفعل هؤلاء البشر ذلك؟ لماذا يغشـون بعضهم بعضاً: فيسرقون فى الوزن، ويستبدلون سلعا حصلوا على ما

أرادوا من أسعارها بأخرى أقل منها ثمناً؟ لماذا يحرصون على أن تميل دائماً كفة الميزان عندما يشترون هم سلعهم؟ ولا يفعلون ذلك عندما يبيعونها .. أولم يقرأوا آيات بينات من سورة المطففين؟ يقول فيها رب العزة: .

﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴾ [1] صَدَقَ اللهُ العَظِيمْ.

السؤال الآخر ـ الذى كثيراً ما أطرحه ولا أجد له إجابة ـ: هل يقرأ هؤلاء البشر كتبهم المقدّسة التى آمنوا بها؟ . وقد أوضحت المصير البائس الذى ينتظر هؤلاء الذين يغشون ويعيثون فى الأرض فساداً؟!.

بينما أنا مستغرق فى كتابة هذه الخواطر . وإذ بشقيقى (دِقَّة) يأتى لزيارتى . . وما أن رآنى حتى أرتمى فى أحضانى ، وقد بدت عليه ملامح التأثر والأسى . . . لحظات وتساقطت دموعه منهمرة على وجنتيه الرقيقتين ، وأخذت أهدىء من مشاعره ، حتى غادرته الدموع ، وإن لم تغادره الكآبة ، والأسى .

قلت: هون عليك ياشقيقى ، ماذا بك؟ وكيف وصلت إلى هذه الحالة من الحزن؟ أنت بالقطع أسعد منى حظاً ، وأوفر راحة . . فأنت من النوع «الالكترونى» المتطور والذى يصعب على صاحبك أن يستغلك فى الغش فى الوزن ، وأنت ياشقيقى لاتعمل فى وزن الأشياء الثقيلة ، وصاحبك ـ على ما أعلم ـ رجل ، ثقافة رفيعة مثل زبائنه . . ما أسعدك ياعزيزى دِقَّة . . . ففوق دِقَّتك توضع الجواهر النفيسة : الذهب والفضة ، الماس يتلألأ فوقك ، والعطور تفوح من زبائنك ، والأموال تتراقص فوق أيدى صاحبك .

ابتسم شقيقى لأول مرة منذ أن جاء . . ابتسامة أسى ، وقال : ليتنى كنت قد حملت من الأوزان أثقلها . . بدلاً من أن أحمل من الأوزار أرذلها . ياشقيقى العزيز: إن صاحبك : بائع فاكهة كان أو جزاراً . . ماذا يسرق؟ . ثمرة برتقال أو رمان أو حتى تفاح : ثمرتين . . ثلاث . . ؟ ماذا يسرق . . قطعة لحم أو قطعتين؟ . . إن ذلك كله يهون . . لكن :

السرقة عند صاحبى : أشكال ، وألوان . . . أنواع وأوزان . . . سرقة فى الأفراح

---

(١) سورة المطففين آيات ، (١ - ٣)

والأحزان. . آه. . آه من ظلم ذلك الإنسان لأخيه الإنسان!

قلت لشقيقى (دِقّـة)، احكِ لى يا شقيقى، أفرغ من همومك وأحزانك، فإن الحزن هو آفة الشباب، والصحة، وهو عدوهما اللدود.

قال شقيقى: إن صاحبى واحد من بنى البشر الذين يمتلىء بهم هذا العصر بل هم مع الأسف نجـوم هذا العصر، يمتلك واحـداً من أكـبر محلات الـذهب والمجوهرات. . . اسمه بديع وأعترف أن ذوقه أيضاً بديع. . ينتقى قطعاً رائعة من الماس والأحجار الكريمة. . . الكريمة جداً. . . زبائنه ورواده من عِلية القوم أقصد: عِلْية قوم هذا العصر.

منذ أيام اتصل بواحدة من زبائنه القدامى ليزف لها بشرى وجود خاتم من الماس الحر، وما هى إلا ساعة واحدة، حتى جاءت حسناء رائعة الجمال. . . منذ اللحظة الأولى التى دخلت فيها المكان تناثر شذا عطرها الفواح مع نسمات الهواء الباردة التى تنبعث من جهاز التكييف. . فتحول الحيز كله إلى عبق من الجمال، فتحولت إليها الأنظار، والأفكار، وكل شىء. . ثم عزف صوتها قطعة موسيقية قصيرة، لكنها رائعة: «هاى بديع. . فين الخاتم».

كان بديع فى تلك اللحظة يعرض مشغولات ذهبية على عروسين. . تركهما على الفور وعهد اليهما بشقيقه فايز، وأسرع يستقبل زبونتة الأثيرة. . أهلاً إيمان هانم. . المحـل نوّر، ثم انحنى يقبل يدها. . فتح خزانته الكبيرة، وأحضر منها علبة حمراء رائعة. . ما إن فتحها حتى صاحت: «أوه. . فانتستك بكام يابديع؟» «من غير فلوس ياهانم. . مش كفاية انه حيتشرف بصباع حضرتك»؟!!.

ردت فى دلال أرستقراطى «ألا صحيح بكام؟ ده يجنن». . . ناولته الخاتم بعد أن زينته ببعض أناملها الجميلة. . وضعه فوق دفتى فى حركةٍ مسرحية، وأقسم لكم: أنه لم ينظر إلى مؤشرى أو يقرأ وزن الخاتم. . **وقال لها ـ بثقةٍ ـ عشرة آلاف دولار علشان خاطرك ياهانم.**

تناولت الخاتم من جديد، ووضعته فى إصبعها، وقالت ـ بهدوء شديد، ودون اكـتراث ـ: «مش كتير يابديع»؟. . رد صاحبى فى هدوء أشد. . مبروك ياهانم. . الفلوس وصلت. . . «إحنا يهمنا رضا سعادتك» «مرسى مرسى قوى يابديع».

أخرجت دفتر الشيكات. . ياله من دفتر. . إنه أيضاً بديع. . جميل. . أنيق. . وعلى ما يبدو أن غطاءه كبير. . المهم. . كتبت الحسناء شيكا. . عشرة آلاف دولار بالتمام والكمال. . لقد تم كل ذلك في وقت لم يتجاوز ١٥ دقيقة.

قلت لشقيقي: إنها حكاية عادية تحدث في أماكن كثيرة، ومع كثيرين من البشر، والموازين أيضاً. . لماذا أنت غاضب إذن؟ قال شقيقي: أرجوك انتظر قليلاً فالحكاية لم تكتمل بعد.

ـ تفضل أكمل.

بعد أن خرجت الحسناء ووضع بديع الشيك في الخزينة، عاد لشقيقة (فايز) الذى كان منهمكاً في استعراض ما لديه من دبل وأساور للعروسين اللذين توقفا قليلاً ليشاهدا سيناريو بيع خاتم الـ ١٥ دقيقة والعشرة آلاف دولار والحسناء المدهشة. . ويعلم الله بحالتهما النفسية وهما يشاهدان عشرة آلاف دولار تدفع في بضع كلمات قليلة دون مساومة أو مجهود.

قال بديع لشقيقه. . حتى الآن لم يستقرا على شىء. . عنك انت. . ووجه كلامه للعروسين. . «مفيش حاجة عجبت حضرتكم».

قال الشاب في أدب. . الحقيقة كل حاجة هنا ذوقها جميل. . لكن الحقيقة الإمكانيات «يعنى: علشان كده بندور على حاجة على أد ميزانيتنا».

فجأة. . . تحول صاحبى بديع إلى لابديع. . تخلى عن رقته البالغة، والتى كان يعامل بها الحسناء ـ منذ دقائق ـ. . ليتحول إلى شىء مختلف. لست أجد من الكلمات ما أصف بها طريقتة في الحديث: أسلوبه، كلماته، نبرة صوته، لقد أخذ الأساور من يد العروس الشابه، ونهرهما قائلاً: اسمع يا أستاذ. . «حقولك نصيحة. . إللى ممعهوش مايلزمهوش. روح حوّش الأول وبعدين ابقى اتجوز».

قال هذه الكلمات وهو يلملم المشغولات الذهبية من أمام العروسين ويغلق عليها فترينته. . بينما وقف الشاب يدافع عن كرامته أمام عروسه، أو قل يدافع عن فاقته قائلاً: «دى قلة ذوق. . احنا زباين، مش جايين نشحت منك».

أطلق صاحبى ضحكة ساخرة فيها كل الغرور والصلف وقال: زباين. . هاها. . ها.

ياإلهى.. ما هذه القسوة.. كيف استطاع هذا اللابديع أن يحمل داخله شخصيتين مختلفتين تماماً؟ هل أصيب بها يسمونه انفصام شخصية؟ لا أعتقد.. هل لانه قد ربح من الحسناء مبلغاً محترماً فى خمس عشرة دقيقة يقسو على هذين الشابين اللذين يصعدان أول درجة فى سلم حياتهما الزوجية؟. هل هذا هو جزاء الفقير: سوء المعاملة وسوء الأخلاق؟

ليست هذه هى المرة الأولى التى يتعامل فيها اللا بديع مع الفقراء، فكثيرا ما كنت أراه يبخس العديد من رواد محله ممن ضاقت بهم الدنيا، وألمت بهم ظروف قاهرة، لبيع حلىّ، اشتروها فى أوقات يسر، أو ادخروها لأوقات ضيق... إنه يحمل ما يريدون بيعه ويلقيه فوق ظهرى بإهمال متعمد...، ثم يتحدث لصاحبه باستهتار متعمد أيضاً عارضاً عليه ثمناً بخساً، بعد أن يكون قد تفحص قسمات وجهه وقرأ بخبرته مدى حاجته، وكثيرا ما يقبل الزبون بالإجحاف فى مواجهة ظروفه الصعبة.

إنه ظلم الإنسان لأخيه الإنسان، وإذا كنا نحن الجماد نشفق على الإنسان من قسوة البعض من بنى جنسه، فأنا فى دهشة من تبلد المشاعر الإنسانية للبشر تجاه بعضهم البعض.

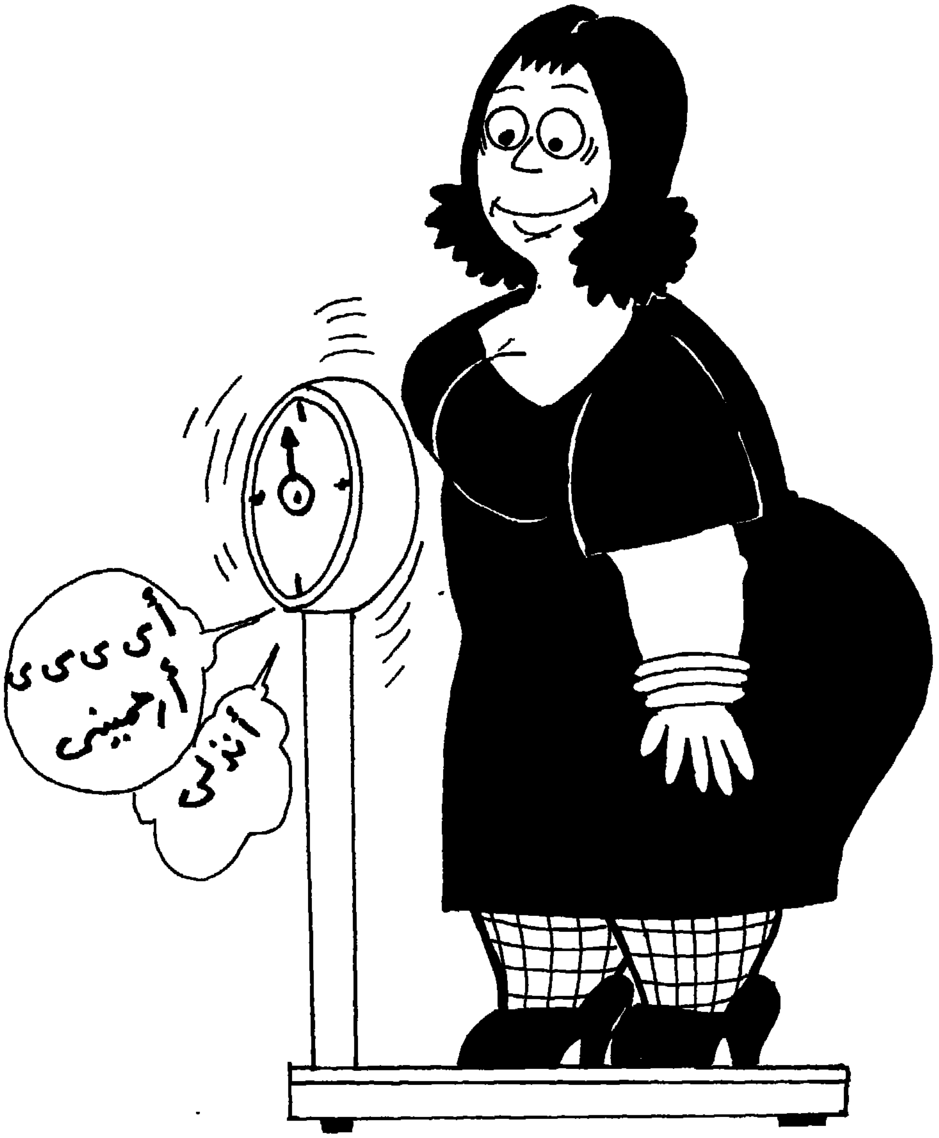
قلت لشقيقى بعد أن انتهى من سرد روايته - التى وضح من خلالها مدى رهافة حسه وشفافيته -.. قلت له: يبدو أن تعاملك مع الذهب والجواهر النفيسة، والأنامل الجميلة، كل ذلك قد جعلك رقيق الحاشية.

إن كثيراً من هؤلاء البشر ياعزيزى، قد أصابت قلوبهم وضمائرهم غيبوبة دائمة، فقدوا الإحساس بغيرهم، وتمادوا فى غيهم، وجنوحهم وجشعهم.

وفجأة.. سمعت وشقيقى ما أراح أعصابنا وهدّأ نفوسنا.. فقد انطلق صوت مذياع قريب بكلمات جميلة تذكرنى وأبناء جنسى كلمات الله عز وجل - وهو يوصى بنى البشر علىّ أنا وأشقائى.. فيقول: - عز من قائل - فى سورة الرحمن ﴿وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ۝ أَلَّا تَطْغَوْا۟ فِى ٱلْمِيزَانِ ۝ وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا۟ ٱلْمِيزَانَ﴾ (1) صدق الله العظيم.

---

(1) سورة الرحمن آيات: (٧، ٨، ٩).



ـ بدون تعليق ـ

يوميات مســــرح



ـ مش معقول كل ماتخرج عن النص.. تقولى دا أبداع فنى ـ

« ما الدنيا إلا مسرح كبير » . . هذه العبارة أطلقها واحد من عظماء الجيل الماضى من الفنانين . . إن هذه الجملة تتطابق الى حد كبير مع الواقع . . لعلكم عرفتم من أنا . . أنا مسرح . . عريق فى تاريخى . . عميق فى رسالتى . . أجيال وأجيال مرت على فنانين وفنيين . . مشاهدين ورواد . . إنها حياة حافلة عشتها على مدى حياتى .

. قد يظن البعض أنى أنحاز للقديم . . لكنى فى الواقع أعشق التجدد والتجديد .

. . شرطى الوحيد : أن يكون ذلك التجديد إلى الأفضل . . وقد يرى البعض أنى أتوق الى الماضى ، وأتمسك بتلابيبه . . ولم لا . . ؟ وقد كان هذا الماضى ثريا بكل ما فيه من عمق ومثالية . . سوف تكتشفون ذلك من خلال المتاعب التى أعانيها ، والتى تنبض بها هذه السطور .

سوف لا أتحدث عن الماضى كثيرا ، وسأترك الحاضر بكل ما يحمل من مآسٍ يمجد الماضى .

تسعة أشهر ولا تزال هذه المسرحية تعرض يوميا على خشبتى . . تسعة أشهر يقف الممثلون يكررون هذا النص الهزيل ، الذى حار فيه المخرج المخضرم ؛ فأدخل الكثير من الحركات البهلوانية ، التى يؤديها الممثلون ؛ لينتزعوا بها ضحكات الجمهور المتعطش لأى موقف يثير الضحك ، والابتسامة ، بعد أن أصبح كل شىء ـ خارجى ، وفى ساعات يومهم ـ يثير التجهم والكآبة .

كان الممثلون فى هذه المسرحية خفيفى الظل ، وكانت لهم خبرة كبيرة فى إضحاك الجمهور . . لم يجدوا فى النص الهزيل المواقف الباسمة ، أو الجمل الكوميدية ؛ فأخذوا يضيفون للحركات التى ابتكرها المخرج جملا من عندياتهم ، وهو ما يسمونه «الخروج على النص» ولكن . . أي خروج هذا ! ! ؟ إنه ليس خروجا عن النص بقدر ماهو خروج عن الأدب . . عن اللياقة . . إيحاءات جنسية رخيصة ، وكلمات تحمل معانٍ قابلة «للوى» .

كنت أحس بالخجل الشديد ؛ وقد رأيت منذ أيام أسرة محترمة ، جلست على

مقـاعد الصف الأول. . الزوجين، وابنتيهما الاثنتين، وابنهما الشاب. . وما إن بدأ الممثل المشهور- بطل المسرحية - فى «ديالوج» يفتقد إلى اللياقة، والأدب مع البطلة والتى بدت وكأنها وقعت فى مأزق، عندما فاجأها الممثل بهذا السيل من الخروج على الأدب. . آسف النص. . بادلتـه أول الأمـر وكـأنها تقول له. . إنها أيضا تستطيع التأليف الفورى مثله. . لكن. . عيب، لكنه تمادى. . أطرقت الأم وابنتاها وقد علت وجوههن حمرة الخجل، وتساقطت قطرات العرق من وجه الأب، وما هى إلا دقائق معـدودة حتى نظر لأفـراد أسرتـه وقد كشر عن أنيابه وقال: هيا بنا. . بلاش كلام فارغ. . أخذ الابن الشاب يرجو والده فى إلحاح أن يستمروا فى مشاهدة باقى المسرحية فلا تزال فى الفصل الأول. . لكن الأب رد قائلا: خليك أنت لو كنت عايز. . وقام مسرعاً نحـو البـاب تتبعه أسرته كلها بما فيها الشاب. . كان البعض يضحك من الأعماق على الكلمات الخارجة التى يبتكرها الممثل؛ ليعالج النص الهزيل، وفى نفس الوقت كان هناك من يتأفف ويعترض همساً. . أما الملقن فقد أغلق الأوراق التى يلقن منها؛ حيث الغى الممثلون دوره وظل واضعا راحتيه على خديه، يستمع الى النص الذى يبتكره كلٌ يوم ممثلون مستهترون.

منذ أيام اجتمع مدير المسرح، والمؤلف، والمخرج، وبعض أبطال المسرحية يناقشون الإنذار الذى أتاهم من الرقابة؛ لخروج الممثلين عن النص المعتمد؛ وأخذوا يتبادلون الاتهامات:

المؤلف يعترض فى حنق، ويقول: إن هذا الخروج على هذا النص الذى صاغه يسىء الى العمل؛ ومن ثم إلى اسمه الكبير. والممثلون يردون بأن الأيام التى التزموا فيهـا بالنص، لم يضحـك مشاهد واحد. . وبصراحة. . الناس تدفع هذا الثمن المرتفع فى التذاكر؛ لكى تضحك.

أما المخرج فقد أخذ يفلسف الأمر؛ ويطرح قضية قتلت بحثاً ولم تحسم. . هل الضحك للضحك، أم الضحك للهدف؟.

مدير المسرح كان له رأى آخـر. . فقد كان شريكا فى الإنتاج. . أخذ يقول: ياجمـاعة أنا لا أبحث قوة النص من عدمه ولا تهمنى قضية الضحك للضحك أو الضحـك لجهنم. . أنا يهمنى أن المسرح لا ينغلق بمعرفة الرقابة. . هذا هو ثانى

انذار. أرجوكم ياناس؛ «بلاش خراب بيوت..» «إنتم عارفين كام بيت مفتوح على المسرح ده»؟.

كان بطل المسرحية ممثلاً ذا شهرة كبيرة؛ فهب واقفاً، وقال وهو يستعد للخروج: « **أنا النص ده ما يعجبنيش، لما تجيبوا نص كويس ابعتولى** » .. واتجه ناحية الباب وسط ثورة المؤلف، الذى ظل يردد كلمة واحدة لم يغيرها دى إهانة.. إهانة لا أقبلها . جري مدير المسرح، والمخرج، وراء الممثل فى محاولة لاعادته لحلبة الحوار. ظل الممثل على موقفه.. لابد من الخروج على النص؛ طالما النص الأصلى لا يضحك الناس.. أخذ مدير المسرح يرجو الممثل:ألا يخرج على النص كثيرا؛ خاصة وأن الرقابة «**واخده بالها هذه الأيام**.»

وانتهى الاجتماع إلى لا شىء.. وفى المساء.. بدأ العرض وبدا أن الممثلين ملتزمون إلى حد كبير فى عدم الخروج على النص.. ولكن ما حدث كان أكثر من الخروج على النص، وأبشع. لقد أخذ الممثلون والممثلات يخرجون عن الحركات التى رسمها المخرج، لتصبح إيماءات جنسية أكثر من الكلمات، وحدث ما حدث فى الليالى السابقة من انصراف أكثر من أسرة، وهى تسب وتلعن ـ ليس فقط ـ الممثلين بل يسبوننى أيضاً، ويتهموننى بأنى مسرح «هلس»!!!

لم تكن معاناتى من الفنانين فقط بل إن المعاناه امتدت للجمهور أيضا.. وهنا أجدنى مضطراً للرجوع إلى زمان وأيام زمان.. ليتها تعود بكل ما فيها من احترام، ووقار، والتزام.. لقد كان الذهاب الى المسرح حدثا تستعد له الأسرة بارتداء أجمل الثياب.. والجلوس فى هدوء واهتمام.. كنت لا تسمع الهمس أثناء العرض.

أما الجمهور هذة الأيام فقد حرص الكثيرون منه على جلب أكياس اللب والسودانى، وخلافه، يظلون يتناولونه محدثين صوتا يدعو للاستياء، بل إن بعضهم يحضر معه أكياس البرتقال، واليوسفى، والمأكولات المختلفة، يملئون بها صالتى.. يظلون يتحدثون أثناء العرض، ويعلقون تعليقات خارجة؛ كثيراً ما يثور بسببها الممثلون؛ فيوقفون العرض.

ولعل أكثر ما يصيبنى بالضيق هؤلاء الذين يحملون معهم الصغار فى سن الرضاعة، وفجأة.. ينطلق الأطفال فى البكاء؛ فتظل الأم تحاول إسكاته دون

جدوى، وبعد أن يتوقف العرض، وتسدل الستار، يخرج الزوجان؛ فيعود العرض مرة أخرى وسط استنكارالحضور. أما البائعون الجائلون فحدث ولا حرج.. ضوضاء واستغلال للجمهور وغير ذلك كثير من السلبيات أشاهدها ولا أستطيع الحديث عنها.

أنتقل بخواطرى ويومياتى إلى مكان آخر.. إنه المسرح الخلفى، الذى يسمونه «الكواليس».

إن من يشاهد الفنانين فوق خشبتى يؤدون أدوارهم، يخيل إليه أنهم كما يقول البشر: «سمن على عسل» والحقيقة أنهم شحم على نار.. إن كلاً منهم يسعى للاستحواذ على أكبر قدر من اهتمام الجمهور، ومن هنا يأتى الخروج على النص والخروج عن الحركة، وعندما يدخلون إلى غرفهم يبدأ العتاب، الذى ينتهى عادة بمعركة، يفصلها - دائما - مدير المسرح، أو أولاد الحلال من زملائهم.

على أن الغريب حقاً أن هناك «لوبى» بين كل مجموعة منهم.. أحزاب بلا برامج.. هذه الفنانة من شلة فلان، وفلانة من شلة فلانة... وهكذا.

كما أن الجمهور أيضا لايرحم.. ففى الدقائق القليلة التى يغلق الستار خلالها ليستريح الممثلون، يظل المصور يصطحب مجموعات من الجمهور؛ ليلتقط لهم الصور مع الفنانين والفنانات، وفى كل الأحوال فلا بد أن يبتسم الفنان حتى لو كان داخله بركان من الغيظ والاستياء.

أما خارجى.. فإن هناك نوعين من المنتفعين فى غير حق: أحدهما قبل العرض وهم بائعو التذاكر، فيما يسمى بالسوق السوداء، يرتبون أمورهم مع باعة التذاكر التابعين لإدارتى، فاذا ذهب رب عائلة، يسأل عن تذاكر فى الصفوف الأولى، فإن الرد جاهز دائما «محجوزة» وعلى بعد خطوات يحصل على أفضل المقاعد، وكله بثمنه.

وبعد العرض فإن سائقى «التاكسيات» هم الفرسان.. مغالاة لايرضاها الله.

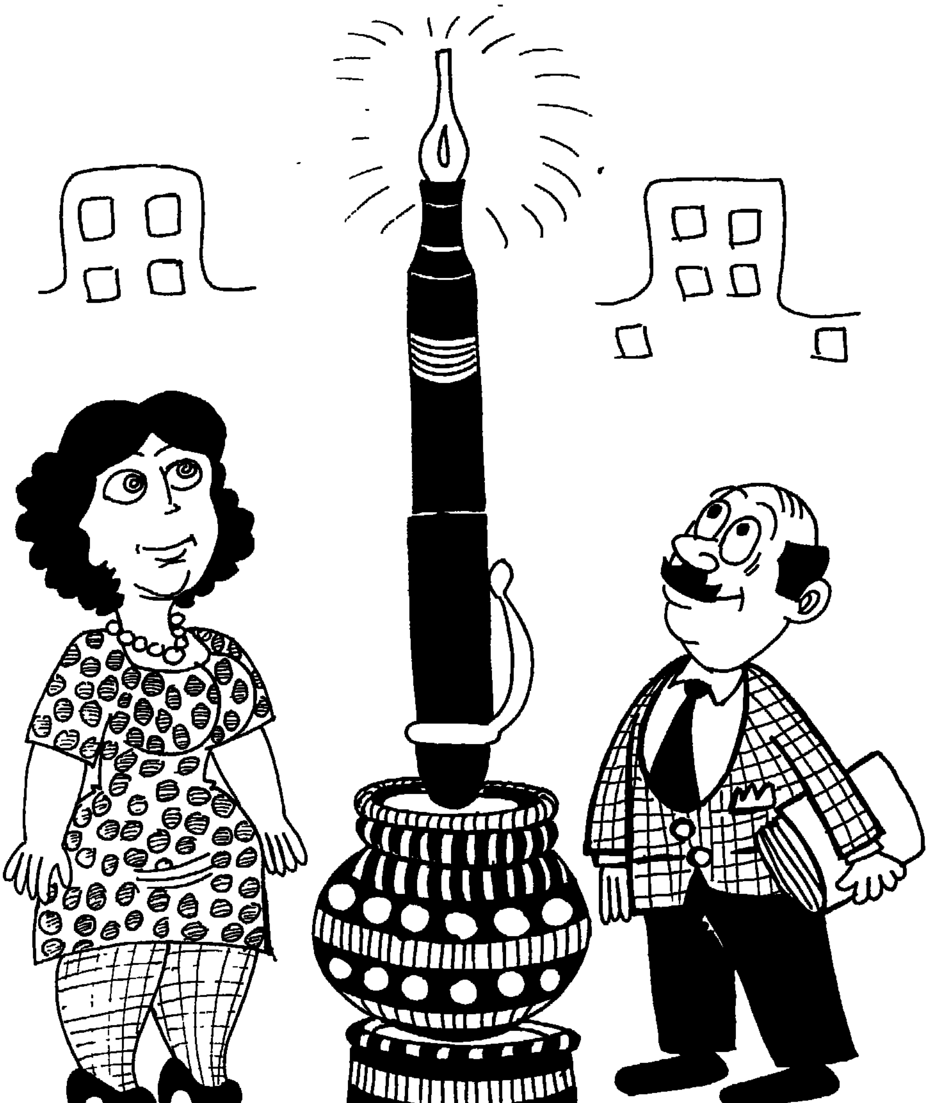
كل هذه الأحداث والمآسى ربما تحزننى، لكن ارتفاع الأسعار المستمر لتذاكر الدخول هو أكثر ما يثير قلقى.. فهذه الأسعار الملتهبة والتى تبتعد عن إمكانات السواد الأعظم من الناس؛ تجعل روادى من طبقة معينة، وأنا أحب كل الناس.. أتمنى أن تصل رسالتى لكل البشر.

والآن . . وأنا أختتم خواطرى هذه، اعذرونى وأنا أسترجع الأيام الخوالى . . أيام كان أمثالى من المسارح تقدم على خشبتها عروضاً ذات أهداف سامية، حتى ولو ضمت ضحكات لا بدّ منها، لغسل القلوب وإسعادها . . وأيام كان الفنانون ملتزمين ليس فقط بالنص بل بالذوق واللياقة . . وأيام كان روادى وعشاقى من الذين يقدسون الفن، ويحترمون وجودى، ويحرصون على نظافتى . . وأيضا أيام كان القائمون علىّ يحرصون على صيانة مرافقى، ومنشآتى.

آه لو عاد زمان . . «يازمان ارجع . . . ارجع يا زمان». !!!



يوميات قلـــم



البصر والبصيرة. . العقل والحكمة. . خصائص ميز الله بها الإنسان على جنسنا نحن الجماد. . ولكن يبقى السؤال كبيراً ملحاً. . ترى هل استفاد بنو البشر بهذه المزايا وتلك الخصائص؟

لا أعتقد ذلك. . فلا زال هذا الإنسان بكل ما يملك من مزايا وبكل ما يملك من وسائل سخرت لخدمته لا يرقى إلى المستوى الذى يجعله متميزاً حتى علينا نحن الجماد. لعل هذه المقدمة القصيرة تعكس لكم معاناتى مع هذا المخلوق المسمى «إنسان».

آسف لقد نسيت فى غمرة هذه لمشاعر الغاضبة أن أعرفكم بنفسى:

أنا قلم. . واحد من رموز الثقافة والحضارة والرقى. . فلقد أقسم رب العزة باسمى فى سورة «القلم» حيث قال عز وجل: ﴿ نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴾ [1] وليس هناك ما هو أدلُّ على مكانتى من هذه الآيات المباركة. .

وعلى الرغم من هذه المكانة الرفيعة إلا أن البشر يحلو لهم أن يجنحوا بدورى ويسيئون استخدامى. . عندما تحملنى أناملهم ليسطروا بى أعظم آثامهم وخطاياهم. . **كثيراً من الأسرار احتفظ بها. . أئنُّ بحملها وأبتئس؛ لأنى أشارك فى كثيرٍ منها فصاحبى يستخدمنى كأداة، حتى أن دموعى تنهمر من عينى فى صورة قطراتٍ مداد تسقط على الوريقات البيضاء وهى وسيلة احتجاجى الوحيدة على حماقات البشر عندما يبدلون دورى ليصبح دورا شريرا يؤلم ضميرى. . ولكن ماذا عساى أن أفعل؟ فأنا مجرد أداة.**

خطرت لى اليوم فكرة. . لماذا لا أتحرر ولو لبعض الوقت من عبودية الإنسان وشروره. . فقررت أن أحضر فوق هذه الأوراق البيضاء بعضاً من خواطرى. . أسقط عليها قدراً من همومى ومعاناتى. . من أحزانى وحنقى. . من بنى البشر. فقد ساقتنى الصدفة البحته للقاء حار مع أشقائى. . فلم أكن قد رأيتهم منذ وقت

---

١ ـ سورة القلم: ١ ـ ٢

طويل. . ففوجئت بيد تحملني وتلقى بى فى علبة خشبية يسمونها «مقلمة» وبداخلها وجدت أشقائى. . جاف ورصاص وفلوماستر. . بل وجدت أيضا شقيقتنا الكبرى (ريشة). بالقبلات الحارة التقينا. . بعد قليل أغلق علينا باب المخزن. (المقلمة) واجتاح الظلام المكان باستثناء شعاع ضوء جاء يسعى من فتحة صغيرة تركها صاحبنا عن غير عمد. .

وجهت شقيقتنا ريشه سؤالا واحداً لنا جميعاً. . كيف حالكم ياأشقائى؟ . . لكن أحداً منا لم يجب. . عادت ريشة تقول مالكم قد سكتم جميعاً وكأن على رؤوسكم الطير. قلت لها. . وماذا تقولين يا عزيزتى ريشة. ؟ لابد أن لدى إخوتى ما لدىَّ من مشاعر الحزن والاستياء. . قالت: إذن هاتِ ما عندك. . إنها لحظة بوح علَّنا نستطيع مساعدتك. . قلت: وأنا أتنهد. . إنها أشياء وأشياء. . هموم تنوء بحملها الجبال.

إن صاحبى الذى أعمل فى خدمته. . رجل تبدو عليه علامات الوقار والاستقامة. . . تجاوز العقد الخامس من عمره ببضع سنوات. . متزوج وله ثلاث بنات وولدان . . . أما زوجته. . تبارك الخلاق العظيم فيها وهبها من جمال الشكل والسلوك معا. .

الرجل يشغل موقعاً مرموقاً فى إحدى الوزارات. . إن ما حدث منه منذ أيام يعكس مدى قدرة البشر على الخداع والتضليل. . فوراء هذا المظهر الرصين كان يقبع مراهق عتيد. . فقد دخل الرجل بيته فتناول طعام الغذاء ثم أدى صلاة العصر. . دخل إلى غرفة مكتبة بعد أن. . أوصى زوجته بعدم إدخال أى شخص عليه أو تحويل أية مكالمة تليفونيه له، حيث إنه مشغول جدا فى إعداد تقرير مهم سيعرض صباح الغد على السيد وكيل الوزارة. .

جلس الرجل على مكتبه وفتح حقيبته ليخرج منها دفتراً. . لأول مرة أشاهد مثل هذه الأوراق التى يضمها هذاالدفتر. لونه(روز) وقد رسم عليها فراشات وقلوب وسهام. . ما هذا. . إن رائحة جميلة تنبعث من هذه الأوراق. . فى البداية ظننت أن هذا الاهتمام سببه أن التقرير سيقدم لمسئول رفيع هو وكيل الوزارة. . لكنى فوجئت أن الرجل وضعنى بين أنامله وبدأ يسطر رسالة غرام سوف أستعرض لكم بعضاً من سطورها:

حبيبتى وفاء. . أنت الوفاء. . كل الوفاء. . فى الأرض. . وفى السماء. . فى

الظلمة . . وفي الضياء . . معك . . الدنيا كلها هناء . . والبعد عنك شقاء . حبيبتي وفاء . . بالأمس سهرت الليل كله أنظم لك قصيدة حب وهيام . . هذه هي بعض أبياتها :

أحبُّكِ حُبّاً بعيدَ المدى　　　عميقَ القرارِ قوى الصدَى
أحبُّكِ فوقَ حدودِ الخيالِ　　　وَفوقَ الحياةَ وفوق الردَى

هذا يا أشقائي هو بعض ما كتبه صاحبي لوفائه . . وكم من الجرائم يرتكبها البشر باسم الوفاء ! . . .

لقد أرتعشت بين أنامل هذا المراهق الكبير . . بل إنه كاد يغشى عليَّ من مفاجأة أخرى جاءت بعد عدة سطور حيث قال صاحبنا :

«وفاء» . .

لا تغضبي مني لأني صرخت في وجهكِ بالأمس . . لقد كان ذلك يا حبيبتي من أجل التمويه على الموظفين الأغبياء وحتى لا يكتشف أحد منهم أننا نعيش سوياً أعظمَ قصةِ حب . . فيتقولون علينا ويفتضح أمرنا وتنتشر شائعات تقول : إن الرئيس واقع لشوشته في حب إحدى موظفاته . . يا له من مخادع حقير ! . . . يخفي وراء هيبته الزائفة مخالب وأنياباً . . ويظلم زوجة طاهرة تحافظ له على ماله وعرضه وذريته . .

أخذت أتساءل . . ماذا لو دخلت زوجته - فجأة - لغرفة المكتب وشاهدت الجريمة التي كنت فيها مجرد أداة ؟ . . ماذا لو قرأت هذه الرسالة ؟ ساعتها كيف سيكون موقفه مع أولاده وبناته ؟ . . إن الجميع في هذا البيت وربما خارجه يعتبرون هذا الرجلِ المراهق بصورته المزيفة أمامهم بالرصانة والوقار والاستقامة - يعتبرونه قدوةً ومثالاً للخُلُقِ القويم .

أخذت شقيقتي ريشة تمسح عن وجهي قطرات الدموع . . «المداد» . . وهي تقول لا تحزن يا أخي (حبر) فان كثيرين من بني البشر عندما يصلون لهذه السن تنتابهم أعراض مراهقة متأخرة . . فتبدوا منهم هذه الأفعال .

لقد قرأت بحثاً أعده عالِمٌ من بني البشر . . تخصص في علم النفس أخذ يبرر لأبناء جنسه هذا السلوك ولا أعرف إن كان على صوابٍ أم لا . . إنه يقول : في بحثه . . إن الملل الذي يصيب العلاقه الزوجية - بعد سنوات طويلة من الزواج - يُشعر كِلاَ الزوجين بالرتابة تحيط بهما من كل جانب . . بل إن الرجال - على وجه - الخصوص

تتابهم مشاعر الملل، ورغبات التجديد . . فقد بدأت الزوجة فى تكريس كل وقتها، واهتماماتها، ورعايتها لأولادها الذين احتلوا مركز الصدارة فى دائرة اهتمامها بعد أن فقده الزوج عن جدارة، ولم ينجح فى استعادته رغم كل المحاولات.

لقد استغرقت الزوجة فى واجباتها نحو الأبناء . . إن مشاعر الأمومة قد طغت على ما عداها من مشاعر أخرى فأهملت الزوج ونسيت أو تناست أنها زوجة قبل أن تكون أماً . . كما تناست أيضاً أن هذا الرجل المسمى زوج والذى تعيش معه تحت سقف واحد إنما هو طفل . . نعم طفل فى مشاعره ومطالبه وحاجاته . . وأن تساهله عن المطالبة بحقوقه فى فترة ما أنما هو بداية دخوله فى مرحلة جديدة . . ولكن بعيداً عن عينى الزوجة . . وليصبح الزوج بعد فترة مجرد (ممول) .

أما الزوجات فلهن رأى آخر يتلخص فى : أن الإنسان يعيش فى حياته مراحل عديدة :ـ ففى مرحلة ما بعد الزواج مباشرة تكون المتعة فى اللهو واللعب . . . ، فى الذهاب والإياب . . . ،فى السهر والسمر ، فى الاستمتاع فى اكتشاف الحياة والمجهول . . الخ

وعندما يأتى ولى العهد ويتبعه بقية أفراد القبيلة . . فإن المتعة هنا يتبدل معيارها، فهى تتمثل فى رعاية الأبناء وتأمين مستقبلهم . . فى تلقينهم خلاصة تجارب الأبوين . . فى تحقيق الممكن من مطالبهم . . فى محاولة تحقيق الأحلام الضائعة للآباء من خلال الأبناء ثم الدراسة وهمومها المقرونة برغبات التفوق . . ، ثم فى المرور من فوهة مرحلة حرجة فى حياتهم . . هذه هى متعة مرحلة أخرى . . ، يعقبها مرحلة اختيار الزوج والزوجة المناسبين للأبناء والبنات، وما يعقب ذلك من مسئوليات على الزوجين . . ثم تتبدل معايير المتعة مرة أخرى عندما ينجب الأبناء فينتقل قدر من الاهتمام للأحفاد ومعه قدر غير محدود من المتعة . .

وهكذا . . لايزال الكلام هنا لشقيقتى ريشة .

أما أنا فقد قلت لها : بعيداً عن وجهتى النظر . . ومحاولة كل طرف فى تبرير مواقفه وأخطائه . ألست ترين معى أن الخيانة الزوجية شىء بغيض؟

قالت ريشة : بالطبع بغيض بل إنه حقير أيضاً . . فلو سأل رجل نفسه مرة واحدة بصدق . . بماذا يشعر لو أنه علم أن زوجته تخونه مع رجل آخر؟ . . ولو أن بعض

الرجال من جنس البشر يتبجح فيقول لك مجيبا . . لا . . الأمر مختلف . . ولا أعرف ما هو الاختلاف الذى يقصدونه . . أليست المرأة مخلوقاً له مشاعر وأحاسيس؟ . . لماذا يتجاهل هؤلاء الرجال الهمجيون مشاعر مخلوق مثلهم هو المرأة؟ ويسمحون لأنفسهم بما يحرمونه على زوجاتهم . ؟

وهنا خرج أخونا (جاف) عن صمته وبدأ يتكلم وقد بدت عليه علامات التأثر الشديد . . قال ياأشقائى الأعزاء . . إن مأساتى لا تقل بشاعة عن مأساة شقيقى (حبر) إننى أيضاً أعمل لدى سيدة خائنة . . إن سيدتى قد منحها الله جمالاً لو وزع على قارات الدنيا ما عرف القبح للعالم سبيلاً . . لكنها وياللأسف لا ترعى الله فى هذا الجمال . . فى هذه النعمة . . سيدتى . . متزوجة من رجل محترم . . ذى حسب ونسب وهيبة ومال وجاه . . وكل شىء . . لكن عيبه الوحيد من وجهة نظرها أنه يحب عمله كثيراً . . ويقضى فيه معظم ساعات نهاره وليله . . وهو ينفق معظم ما يكسبه فى تحقيق الرفاهية لزوجته وأولاده الثلاثة . .

أما السيدة الجميلة فهى لا تخجل من الحديث عن حقوقها فى أن يقضى الزوج معها وقتاً مضاعفاً وإلا . (إلا) : هذه مبررات الخيانة عندها . . فقد تعرفت على شاب يقارب عمر ابنها (عزت) . . بل إنه يصلح لأن يكون خطيباً لابنتها (ليلى) مع ذلك فالمرأة تهيم فى غرام هذا الشاب المستهترالمسمى (صالح) والذى تلتقى به فى شكل شبه يومى . . منذ عدة أسابيع حدثت قطيعة بين سيدتى (واللاصالح) صديقها . . فقد بلغ به الاستهتار والجنوح أن اتصل بها فى وقت كان زوجها بالمنزل وطلب منها أن تقابله فوراً . . وعندما أبلغته أن زوجها بالبيت قال لها : وإيه يعنى سيبك منه . . اخترعى له أى سبب وتعالى

ولما امتنعت زجرها وأغلق سماعة التليفون فى وجهها وقاطعها عشرة أيام ـ كانا خلالها يختبر كل منهما صلابة الآخر؛ ويراهن نفسه بأن الآخر سوف يستسلم أولاً

وظلت سيدتى تراقب رنين التليفون فى لهفة . . لكن خيبة الأمل ظلت تلازمها طوال العشرة أيام الماضية بطولها . . ثم بدأت أولى علامات الاستسلام تبدو عليها . . وكنت أنا وللأسف الشديد أداة لهذا الاستسلام الرخيص . . . دخلت سيدتى غرفتها . . . أوصدت الباب بعناياة . . وأحضرت ورقاً شديد الشبه بالذى تحدث عنه أخى حبر . فهو معطر وعليه سهام وقلوب وزهور وفراشات . . . حملتنى بين أناملها .

وبدأت تكتب لصديقها صالح. . . آسف (اللاصالح) . . ما أسهل ما يختار هؤلاء البشر من أسماء لا تتفق مع واقعهم!

كتبت تقول:

حبيبي صالح . .

تعـودِ شعرى الطويل عليك
سنـابـل قمـح على راحتيك
كنجمــة صيف على كتفيك
وشعــرى ترعـرع بين يديك
وتـنـسـى . . صلاة الحـــرير

تعــودت أرخـيه كل مســاء
تعــودت أتــركــه يا حبيبى
فكيف تمل صداقة شعـرى
وكـيـف ستـنـسـى الحــرير
علــى ركــبــتــيــك

قال شقيقنا (جاف) هذه الكلمات . . وراح فى بكاء عنيف فظللنا جميعاً نهدىء من روعه ونطيب خاطره . . لكنه كان يقول فى أسى . . أنا السبب . . أنا السبب . . لقد كتبت تلك الخائنة هذه الكلمات . . بمدادى . . بسنى . . بكيانى .

وهنا قلت له: ألم أقل لك يا شقيقى (جاف)أننا أدوات . . واننا جميعاً مسلوبو الإرادة . . تلك الإرادة التى يملكها الإنسان . . ونحن للأسف بعض من ممتلكاته.

كان شقيقنا «فلوماستر» يتابع وهو مطرق الرأس حزيناً . . قلت له: ماذا لديك يافلومـاسـتر؟ قال: همى ثقيل . . لقـد ساهمت منذ أيام فى شطب حق من حقوق سيدى . . فصاحبى يملك شركة للإسكان المتكامل . . رجل صالح أسماً وفعلاً . . إنه يبدو وكأنه (ملاك) يرعى الله فى دينه وفى عمله وفى كل كلمة يقولها . . . ملتزم . . . محترم وآخر تمام.

قلت: عظيم ، أين إذن المشكلة؟ . . . وما هى حكاية الشطب الحرام الذى قمت به؟

إن صاحبى يملك ـ ضمن ما يملك ـ قطعة أرض كبيرة . . كعادته استدعى لها مهندسا عبقريا طلب منه أن يخططها كعمارة عملاقة ثلاثة وعشرين طابقا . . وبالفعل وضع لها المهندس تصميماً أسماه (درة سنتر) . . وقد رشح أحد أصدقاء صاحبى شركة مقاولات لمهندس اسمه (سيد) يعمل هو «والأهل» فى المقاولات بعد أن أثنى عليه . . وبعد مفاوضات كثيرة تم الاتفاق وأقيم حفل استقبال بمناسبة توقيع عقد المشروع

الذى ستتجاوز تكلفته عشرة ملايين من الدولارات. . كانت الدفعة الأولى عند التوقيع هى مليون ونصف مليون دولار. قدم بها صاحبى شيكا للسيد والأهل.

مرت الشهـور وأعقبهـا سنون ولم يتحرك سى (السيد). . . وعود ووعود . . مما طلات يطول شرحها. . وصاحبى يغلى غضباً. . فقد أنجز ثلاثين مشروعا. . نعم ثلاثين عمارة تسلمها حاجزوها ولم يخرج عمود واحد من بطن هذه العمارة المنكوبة بهذا المقـاول المـماطـل. . حاجزو الشقق بدأوا يضغطون على مسئولى التسويق فى شركة صاحبى. . بعضهم فقد أعصابه وبدأ يلوح باتهامات بل وبتهديدات رغم محاولات موظف التسويق: (مجدى)، ورئيسه: (نبيل). . . لكن دون جدوى.

كل ذلك ولا زال (سى السيد) المقاول هو والأهل غير عابئين بل إن كل ما فعلوه هو أنهم وضعوا بعضاً من معداتهم فوق أرض العمارة. . وفقط.

وفى أحد الأيام - وبينما صاحبى يجلس فى مكتبه - وإذا بأحد أصدقائه يسأله عن سر تأخر مشروعه «درة سنتر» ؟ فشرح له مأساته مع المقاول طالبا نصيحته. . قال الرجل لصاحبى. . من أوقعك فى هذا المقاول النصاب؟ . . لقد فعل معى مثلما يفعل معك الآن. . بل إن هذه طريقته يماطل ويماطل حتى تتفاقم المشاكل وتترك له العربون وهكذا. . أسقط فى يد صاحبى. . وقال لصديقه. . ما الحل إذن. ؟. قال الرجل عوضـك على الله فى العـربـون. لابد من إسناد المشروع لمقاول آخر إنقاذاً لسمعة الشركة. . كلف صاحب الشركة مستشاره الاقتصادى (أمير وهدان)ورئيس القانونيين بشركته (غنيم حمادة) بالاتصال بالمقاول ومحاولة الحصول على ما يمكن الحصول عليه من العربون وطلب سحب المعدات من الأرض لإسناد العملية لمقاول آخر.

بعـد يومـين. . عاد مجلس الإدارة للاجتماع وبنفس الأشخاص. . قال صاحبى فى ضيق. . (ماذا تم ياأستاذ أمير، أنت، والأستاذ غنيم).

قال الأول. . الحقيقة إن المقاول رجل سخيف. . لقد طلب مبلغ مليون دولار أخرى غير مبلغ العربون حتى يسمح للشركة بتسلم الموقع.

تبدل لون وجه صاحبى واعتلته صفرة الألم وضرب بكلتا يديه على المكتب صائحاً فى ثورةٍ فاجأت الجميع. - فالمعروف عن هذا الرجل أنه هادىء للغاية حتى أمام أقسى المواقف وأصعبها -

قال: يعنى مليون دولار + المليون ونص اللى بقالهم عنده ست سنوات ابن (ال. . . .) وقام فى عصبية بالغة تاركاً الاجتماع وقد جرى وراءه نائبه وصديقه يحاولان تهدئة الموقف.

لكنه ركب سيارته وانطلق بها فى عصبية متوجهاً إلى منزله ، وفى الطريق اكتشف أننى لا أزال فى يديه فمن عادته فى الاجتماعات أن يمسك بى ويهزنى يميناً ويساراً. . فأدخلنى فى جيب قميصه .

وددت لو كانت لى خصائص إضافية لأمنع كارثة أشم رائحتها. . فالرجل يقود سيارته بجنون، ويتمتم بكلمات غاضبة لا أفهم معناها. . دعوت الله أن ينقذه، فهو فعلاً إنسان طيب. . وعندما وصل الرجل إلى منزله. . واكتشفت زوجته بأحاسيس الزوجة المخلصة أن خطأعظيماً قد وقع سألته : فيه إيه؟ . . . فلم يرد ودخل غرفته، وفتح خزينته، وتناول منها مسدسه وخرج مسرعاً يقود سيارته بسرعة فى اتجاه ضاحية المعادى التى يسكن فيها المقاول النصاب.

أخذت أرتعش. . فأنا أحب سيدى. . وأستمتع بخدمته. . وأخشى أن أفقده فى لحظات يغيب فيها العقل. . فتقوده الأقدار إلى الكوارث.

وصل سيدى إلى فيلا المقاول وكانت الدماء قد وصلت إلى قمة رأسه واختلط لون بشرته السمراء باللون الأصفر ليكوِّنا لوناً خاصاً يسمى: لون التوتر والانفعال كما يقول أولاد البلد من البشر (اتخطف لونه) . . أمام الفيلا الأنيقة التى تحتضنها حديقة يانعة وتحيطها كل مظاهر الأبهة والجمال.

أوقف صاحبى سيارته بانفعال بعد أن غادرها. . لكنه فوجىء بأشخاص كثيرين يقفون فى ردهة الفيلا. . بدت على وجوههم ملامح الأسى والحزن. . كان أحدهم يعرف سيدى فصافحه وهو يقول:ـ البقية فى حياتك.

قال صاحبى. . فى مين. . رد فى دهشة. . فى سيد بك. . شهق صاحبى قائلا: مات. . . إمتى؟.

قال صديقه منذ ساعة فقط. . فقد سمع جيرانه طلق نارى وعندما دخلواالفيلا وجدوه غارقاً فى دمائه. . وأردف قائلا. . الله يلعن الفوس وسنينها. . تصور واحد نصب على سيد بيه من شهرين فقط فى ستين مليون دولار. . ومنذ أسبوع فوجىء أنه

خسر تسعة ملايين جنيه فى مقاولة طرق بالساحل الشمالى. . ولم يحتمل المسكين فانتحر.

انسحب سيدى وهو يردد جملة واحدة حتى عاد إلى مكتبه فقد ظل يقول طوال الطريق «لاحول ولا قوة الا بالله» . . وعندما وصل المكتب أحضر كشفاً لمديونات الشركة لدى الغير وأخرجنى من جيبه ليشطب على سطر كامل كتب فيه: «مليون ونصف مليون دولار مقدم مشروع(درة سنتر) لشركة (سيد والأهل) .

لقد حزنت كثيراً لهذا الحادث بقدر ما سعدت فى الوقت نفسه.

حزنت لضياع هذا المبلغ من صاحبى ذى الأخلاق الحميدة والذى يسعى لخير الناس.

وسعدت لأن الله نجاه من كارثة كان سيقع فيها. . لقد قام الله بالمهمة. . أوحى إلى المقاول أن يقتُل نفسه فيموت كافراً ولكى يُنَجِّى سيدى. . **لقد تذكرتُ ـ الآن ـ قول الحق تبارك وتعالى** ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ (١).

قالت (ريشة) موجهة حديثها لشقيقنا رصاص : هل لديك أنت الآخر هموم ياأخى رصاص. .

ضحك (رصاص).

وقال. . لا. . ليست همومى مثل أشقائى. . فأنا معظم معاناتى مع الأطفال ـ والأطفال أحباب الله ـ إنهم يعبثون فى قامتى بعيداً عن مراقبة الأهل، فيضعون مقدمتى فى دوامه تسمى (براية) تظل تدور بى حتى يخرج لى سن من أحشائى فيلعبون به من جديد، ثم يضعوننى من جديد أيضاً فى الدوامة البراية وهكذا حتى قصرت قامتى. . وكل ما أخشاه أن يأتى يوم تبتلع هذه البراية ما تبقى من كيانى وينتهى دورى فى الحياة.

قلت لشقيقى رصاص : لاتحزن ياأخى، لقد اخترعوا منذ فترة سنوناً من الرصاص توضع فى فم القلم فإذا كُسِرت أو بُلِيت أتوا بغيرها وهكذا دون المساس بجسد القلم أو العبث به. .

---

(١) سورة الحج آية: ٣٨

ثم توجهت لأختي (ريشة) فقلت: هكذا انتن جنس النساء.. سواء كنتن بشراً أو جماداً.. تتحملن كل المتاعب دون كلل.. تحمل الأنثى منكن حملها فى كَبَد ومع ذلك؟ ينسب المولود لاسم لأبيه.. لقد استمعتِ لكل متاعبنا وهمومنا فماذا عنك ياأختاه.. ماذا أنت فاعلة فى حياتك.. قولى... بوحى... لنا فنحن أشقاؤك ؟.

ضحكت ريشة وقالت: لعلِّى أسعد منكم حظاً.. فلا أنا أداة.. لخيانة زوج وزوجة.. ولا أنا مضطرة لشطب حقوق.. ولا أتعرض لعبث أطفال أو كبار.. إن صاحبى فنان تشكيلى يسمى: (إسلام) هذا الإسلام عظيم فى كل شىء.. سلوكه ومنهجه.. معاملاته مع الإنسان والجماد. كل شىء فيه جيد.. إنه شاب ملتزم أيما التزام.. يحبنى كثيراً ويرعانى وينظفنى بعد كل مرة يستخدمنى فيها.. لكننى أرق لحاله فهذا من النوع من البشر لا يعيش فى بحبوحة من الرزق.. مشاعره رقيقة وأحاسيسه مرهفة.. ويلتحف السماء ويحتضن الخيال.. يعشق الليل والسهر. الهدوء والسمر. لكن مثله من الفنانين يظل مستقبلهم فى مهب الريح يلهث وراء الرزق الحلال ويعانى أحيانا من سوء الأحوال.. ويعايش كثيراً من الأهوال..

إن هذه الفئة من الفنانين لا تأتيهم الثروة إلا فى أرذل العمر..

فهاهو العبقرى بيكاسو عرف الثروة فى آواخر أيامه..

وهاهو (فانجوخ) الموهوب اشتهر بعد أن ذهب إلى رحاب ربه..

وهاهو (بتهوفن) بلغ أوج شهرته بعدما أصيب بالصمم... وغيرهم كثير.

إن صاحبى يرسم أجمل اللوحات... لا يحب الفن المبتذل ولا يرتاده أو يتعامل معه... يفعل فى عصر أصبح فيه الابتزال والإباحية ضمن مفاتيح الثروة والثراء..

رغم كل ذلك فأنا أحبه وأحترمه وأسعد كثيراً عندما تحملنى أنامله تنهل من الطبيعة بسحرها وثرائها لترسم خطوطا وفنونا يسميها البشر تجريدية وانطباعية وسيريالية.. لا تهم الأسماء.

ماهى إلا لحظات.. وقد جاءت إشعاعات الضوء تغمرنا وتفرق بيننا.. وتنهى سمرنا.. وها هى يد الإنسان تمد إلى المقلمةالتى أفرغنا فيها أحزاننا. فحملنى

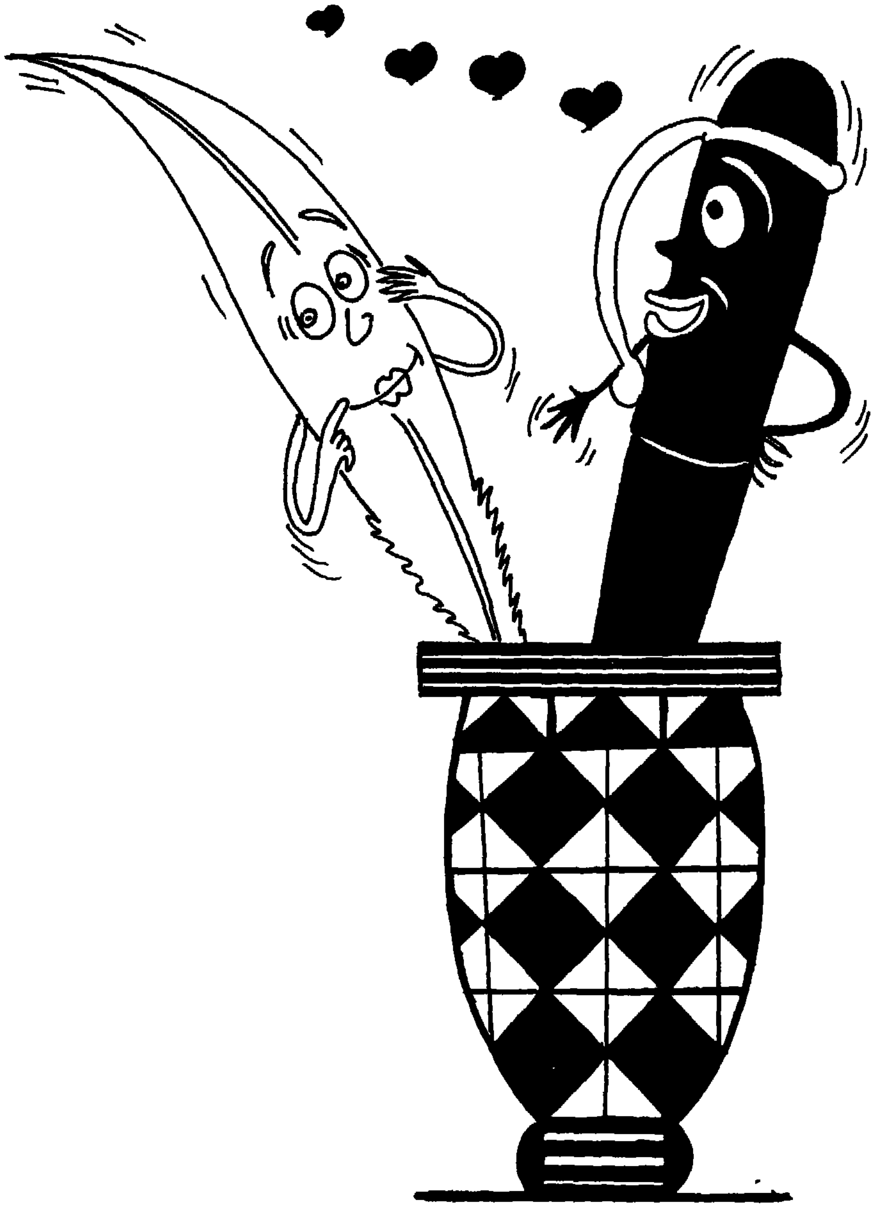
صاحبى من جديد وقد بدت فى يديه رعشة ربما جاء يستعد ليكتب رسالة غرام جديدة فى واحدة من لحظات المراهقة التى تنتابه . .

آه لو فهم بنـو البشر معنى الآية الكريمة . . ﴿ نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾ [1] صدق الله العظيم



---

(١) سورة القلم ١، ٢



يوميات مقهى



لم أكتب يومياتى وخواطرى لولا أنى أعانى هذه الأيام من البطالة. . نحن الجماد تنتابنا مشاعر أليمة للغاية عندما نتوقف عن اداء دورنا، حتى ولو لبعض الوقت، وغالبا ما يكون هذا التوقف لأسباب خارجة عن إرادتنا ولأحد سببين لاثالث لهما:

الأول أن نكون قد تعرضنا لسوء استخدام من بنى البشر. . والثانى يتعلق أيضاً بالإنسان حينما ينحرف بنا عن الأهداف، والغاية السامية التى خلقنا من أجلها.

والسبب الآخر هو الذى أدى إلى توقفى عن أداء دورى. وها أنا الآن أغلقت أبوابى، ووضع عليها شريط، ثبت على بابى الرئيسى بالشمع الأحمر.

وسوف أحكى لكم قصتى من البداية. . ليست بداية تأسيسى وافتتاحى ـ فقد كانت أياماً عظيمة خالدة، مر عليها الآن خمسة وخمسون عاماً بالتمام والكمال. . لكن البداية التى أقصدها. . هى بداية مأساتى مع «المعلم بيومى» آخر ملاكى وكان هذا منذ بضع سنوات لا أريد أن أتذكر عددها.

إن هذا الرجل شديد الجشع. . شديد القسوة والانحراف. . لايهمه شىء فى هذه الدنيا سوى المال. . يجمعه بكل الوسائل، ولا يقنع على الإطلاق. . إنه يفتح أبوابى فى الثامنة صباحا، ولا يغلقها قبل الثالثة صباحا، وطوال هذا الوقت وأنا أعمل وأعمل. . رواد يدخلون ساحتى، وآخرون يغادرون. . وجوه حَفظت معظمها من كثرة التردد. . إنهم لايملون إضاعة الوقت، وغالبا فيما لايفيد بل إن بعضهم يخسر الكثير والكثير من ماله وصحته وقد خلف السهر ومايملأ به صدره من دخان أزرق مغموس بالسموم. . خلف له هالات سوداء تحت عينيه، لكنه لايبالى ولايتعظ.

منذ أيام. . وفى نحو السابعة مساء، سمعت ضوضاء. . أصوات عالية: وصوت أقلام يصفع بها رجل فى الخمسين من عمره شابا يتراوح بين السابعة عشرة والعشرين. .عرفت فيما بعد: أنه ابنه. . والحكاية أن أحداً وشى لدى الأب. . وأبلغه أن ابنه يجلس يومياً على «المقهى» يومياً دون انقطاع، فحضر الأب ليضبط ابنه متلبسا وخانته أعصابه، فراح يكيل له الضربات وبكل الوسائل عندما ضبطه مع أربعة من

أقرانه يلعبون الورق «الكوتشينة»، ولسوء حظ الابن فقد حضر الوالد بينما كان هو يدخن سيجارة، وبطريقة توحى أنه مدخن محترف.

كان غضب الأب شديداً فقد أرهقته الضربات الغاضبة على وجه الابن وجسده بالأيدى والأقدام.. وما هى إلا دقائق حتى سقط الأب مغشيا عليه؛ فقد كان يعانى من مرض عضال بالقلب ولم يكن هذا المجهود العصبى والعضلى يتمشى مع حالته.. تجمع الكثير من روادي.. والتفوا حول الأب.. البعض يمسك جريدة يهوِّى بها عليه.. والثانى يقرأ فى أذنه آياتٍ من القرآن.. وأحدهم أحضر من الصيدلية جارتى قطنة مبللة بمحلول النشادر، أفاق الأب مباشرة بعد أن لمست القطنة أنفه، وقد وقف الابن تائها يردد كلمة لا يغيرها بابا.. بابا.

نظر الرجل لابنه نظرة كلها أسى وعتاب.. أخذ الواقفون يخففون عن الأب بكلمات لم تلق فى نفسه أى صدى، فأخذ ابنه وانصرف، ولا أدرى ما هو مصير الابن الضال.

وماهى إلا أيام ثلاثة لم يأتِ خلالها الابن ورفاقه وجدته قادماً يتقدم شلَّته، وما إن رآه المعلم حتى سارع إليه قائلا: اسمع يا أستاذ نبيل: دى قهوة محترمة، وكفاية اللى حصل من والدك، والسباب الذى طالنا منه.. ضحك نبيل فى لامبالاة وقال.. يامعلم ولايهمك هو احنا أطفال، استسلم المعلم؛ فكل مايهمه هو أن ينفق هؤلاء الطلبة المزيد والمزيد؛ فهو كما قلت إنسان جشع.

أخذت الأيام تمر.. وهؤلاء الطلبة يأتون يوميا.. فقد تحولوا إلى مقامرين.. ليس فقط بثمن المشاريب التى يشربون منها رشفات قلية ليحملها العامل قائلا لهم كل نصف ساعة تقريبا: تشربوا إيه يابهوات فيبدأ دور جديد وهكذا.. أصبحوا يلعبون على أشياء عينية.. كاسيت.. ساعة.. سلسة ذهبية.. ثم فلوس.

قاتل الله القمار فقد أصبح يجرى فى دمائهم..

تكرر ما حدث من والد نبيل: فقد جاءت والدة أحد أفراد الشلة، وأحدثت فضيحة كبيرة بعد أن أخذت ابنها من بين شلته، وصاغت له ملحمة من الشتائم والإهانات.

.. فقد كانت أرملة رحل زوجها، وترك لها ثلاث بنات، غير هذا الشاب

المستهتر، ولا تملك سوى معاش زوجها الذى يبلغ مائة وعشرين جنيها فتضطر للعمل فى حياكة الملابس لدى جيرانها؛ حتى توفر لأولادها حياة كريمة، خاصة وأنهم جميعا فى مراحـل مختلفة من التعليم.. لقد قالت كل هذا وهى تبكى، عندما أراد أحد روادى أن يطيب خاطرها.

عنـدئذ قرر المعلم عدم دخول أحد من هذه الشلة إلىّ.. وفرحت جداً بهذا القرار؛ فقد كنت أدرك أنه بسببى سوف يضيع مستقبل هؤلاء الطلاب.

وبالفعل غاب الطلاب يوماً واحداً، لكننى فوجئت بهم يأتون فى العاشرة والنصف صباحا، ولم يكن المعلم قد وصل بعد.

وبعد ساعة من وصولهم، وصل المعلم، والتقطه أحدهم، قبل أن يعلن ثورته التى كانوا يتوقعونها، وقال له: الحقيقة يامعلم «إحنا آسفين جداً للذى حدث»، لكننا قررنا أن نأتى صباحا بدلاً من مساء؛ حتى لايعرف أحد من أهلنا.. ضحك المعلم بخبث، وقال: «برضه فكرة».. وانصرف..

أصبح وجود هؤلاء الطلاب فى العاشرة والنصف من صباح كل يوم أمراً عادياً فهم أول ما أشاهد كل صباح.. والعجيب كانوا يقضون معظم اليوم يلعبون دون كلل، وكثيراً مارأيتهم يتصايحون لاختلافهم على لعبة ظناً من أحدهم أن منافسه قد سرق من الورق.. يتفوهون بكلمات هابطة لا ترقى لمستوى بشر متعلمين.

حزنت حزنا شديداً فى أحد الأيام، عندما قدم المعلم بيومى لأحد هؤلاء الطلاب لفافة صغيرة من الورق «السوليفان» بعد أن همس فى أذنه بكلمات لم أسمعها.

وقتهـا رأيت وجـه الشاب تعلوه سعادة زائفة.. لحظات: ثم راح يجرى عملية جراحية لسيجارة: حيث أفرغ من أحشائها بعضاً من الدخان وأخذ يفرك المادة التى تشبه قطعة الصلصة القاتمة التى أعطاها له المعلم ويضعها فى أحشاء السيجارة، ثم يعبىء من جديد ما فرغه من الدخان.. ثم أشعلها.. وسحب منها نفسا عميقا.. أعقبه نوبة سعال شديدة حاول الشاب التماسك بعدها، وسط ضحكات زملائه فاضـطر لسحب أنفـاس أخرى، ثم ناول السيجارة لجاره الأيمن الذى فعل نفس الشىء وناولها لجاره وهكذا.. وظل صاحبنا يجرى العمليات الجراحية لعدد كبير من السجائر.

. . ولكنى لأحظت أن هؤلاء الشباب بدأوا فى ضحك هستيرى، بعد أن انتشرت حولهم سحابات من الدخان . . وبعدها جاء المعلم يعاين نتيجة فعلته، فقال: لهم فى صوت أجش إيه الأخبار يابهوات . . المزاج تمام . . ؟ ردوا جميعاً قائلين: تمام التمام ياسيد المعلمين . . أردف قائلا: اليوم المزاج على حسابى . . اذا احتجتم فى أى وقت . . «احنا فى الخدمة» . .

وهكذا بدأ هؤلاء الرحلة . . كنت أحزن كلما رأيت هؤلاء الطلاب وقد أدمنوا، هذه السموم، كما أدمنوا لعب القمار . . وكنت أنظر اليهم فى أسى، وحسرة.

لقد تغيروا تماماً . . تغيرت مفردات كلامهم . . «غادرت الحيوية» وجوههم وحل محلها هالات سوداء تحت عيونهم.

ويوما بعد يوم بدأ الهزال يغلب عليهم.

منذ عدة أيام، شهدت ساحتى حدثا جليلاً . . فعندما وصلت عقارب الساعة إلى الحادية عشرة مساء، فوجئت برجال الشرطة . . جنود وضباط ينزلون من سيارتهم الكبيرة التى يسمونها «بوكس»، وينتشرون فى أرجائى، يسوقون عددا من روادى يختارونهم اختياراً. وعندما هم المعلم محاولاً أن يستنكر ما حدث حتى لاتضيع هيبته وسطوته أمام زبائنه وعماله، لكن الضابط الشاب كان حاسما، قوى الشخصية؛ فقد توجه رأساً غير عابىء بصيحات المعلم: «فيه أيه يابيه»؟ دى قهوة محترمة!! اتجه نحو المكتب الصغير الذى يجلس عليه المعلم ليفتشه . . ليجد بقايا مخدرات من كل نوع: حشيش . . أفيون . . هيروين . . أقراص مخدرة . . . الخ.

لقد كان هذا الشيطان يتصاعد مع الزبائن الجدد، خطوة خطوة، بادئا بالسجائر المحشوة بالحشيش.

ليتكم شاهدتم المعلم صاحب السطوة والسلطان . . ليتكم شاهدتموه فى هذا الموقف. لقد اصفَّر وجه، وزاغت عيناه، وعلت جبهته قطرات العرق، وربما حدثت أشياء أخرى، أخجل من ذكرها . . اقتاده الضابط إلى سيارة الشرطة، ومعه مجموعة من روادى.

كانوا جميعا يتناولون أنواعاً مختلفة من المخدرات . . خرجوا وقد أرهقت وجوههم ذلة، وبدت عليهم درجات التخدير التى وصل اليها كل منهم . . بدت عليهم ملامح سوء المصير . . ولا أعرف لماذا كان حزنى شديداً على الشباب الخمسة الذين أدخلوا

سيارة الشرطة وقد أطرقوا الرؤوس. . تلك الرؤوس التى بدت وكأن عليها الطير.

ترى إلى أى مصير هم ذاهبون؟ كيف سيكون موقفهم فى مواجهة آبائهم؟ وأمهاتهم؟ وأشقائهم؟ وجيرانهم؟ وزملائهم؟. . كيف سيبررون موقفهم هذا؟

الآن. . وبعد أن أمرت الشرطة بإغلاق أبوابى. . لاأنيس ولاجليس.

إنى أختنق لو توقفت عن أداء دورى فى الحياة. . ودورى ليس بالطبع كما كان يقوم به المعلم الذى يملكنى. . ليس دورى هو إدارة موائد القمار، وتناول المخدرات، وإضاعة الوقت فى غير مايجدى. .

إن للمقاهى دوراً ثقافياً هاماً كان أبناء الجيل الماضى يحسن استثماره. .

أذكر قبل سنوات تزيد عن الثلاثين. . كنت منتدى للفكر والمفكرين. . ومقصدا للمثقفين والفنانين. . كانوا يتواعدون باللقاء عندى ويتبادلون المعرفة فى ساحتى.

كنت أحب الظرفاء منهم عندما كانوا يتبارون شعراً ونثراً يتناولون الشاى الأخضر والأحمر. . القهوة والسحلب. . والقرفة والجنزبيل. . العناب واليانسون. . الحلبة. . والخروب. . حتى هذه المشروبات المفيدة قد اختفت ليحل محلها الشيشة التى تدس فيها المخدرات. . تذاكر الهيروين، الكوكايين، والأقراص المخدرة، وكثير من تلك السموم التى تنخر فى عظام الشباب. .

إن لى شقيقة. . مقهى مثلى كان يذهب اليها عشاق الفن الرفيع. . مقهى سمى باسم هرم الفن العربى «أم كلثوم» كانوا يذهبون اليها يطلبون ما يعشقون من أغان تحمل معانى سامية، وموسيقى راقية، وصوت تهتز له القلوب. .

إن هناك مقهى تاريخياً آخر. . كان يجتمع فيه قمة الكتاب والأدباء والمفكرين. . يتجاذبون أطراف الحديث فى فنونهم. . يخرج كل منهم وقد أضاف لمعرفته جديداً

أما الآن: فإن المقهى قد تحول لمكان يضيع فيه الوقت. . ليس ذلك فحسب بل تضيع فيه الأخلاق. . الصحة. . الأموال. . من هنا. . فأنا حزين. . فقد بدل بنو البشر دورى. . عبثوا فىّ فأهانونى. . وها أنا الآن ونتيجة حماقة وجشع وانحراف صاحبى، هذا المعلم الجاهل. . حبيس ظلام دامس، وشمع أحمر وضع على بابى معلنا إغلاقى.

سمعت أن لى أشقاء متخصصين.

مقهى المعـاشات: يجلس فيه مجموعة من البشر ممن تعدت أعمارهم الستين، يجترون الذكريات، ويقضون أوقاتهم فى سمر رصين.

وسمعت أيضاً أن أحد المقاهى روادها من الصم.. الإشارة هى حديثهم.. لابـد أن هذا المقهى الشقيق، هو أكثرنا متعة، فلا هو يشقى بسماعه نميمة البشر ولاسخافاتهم، ولا إزعاج أصواتهم.

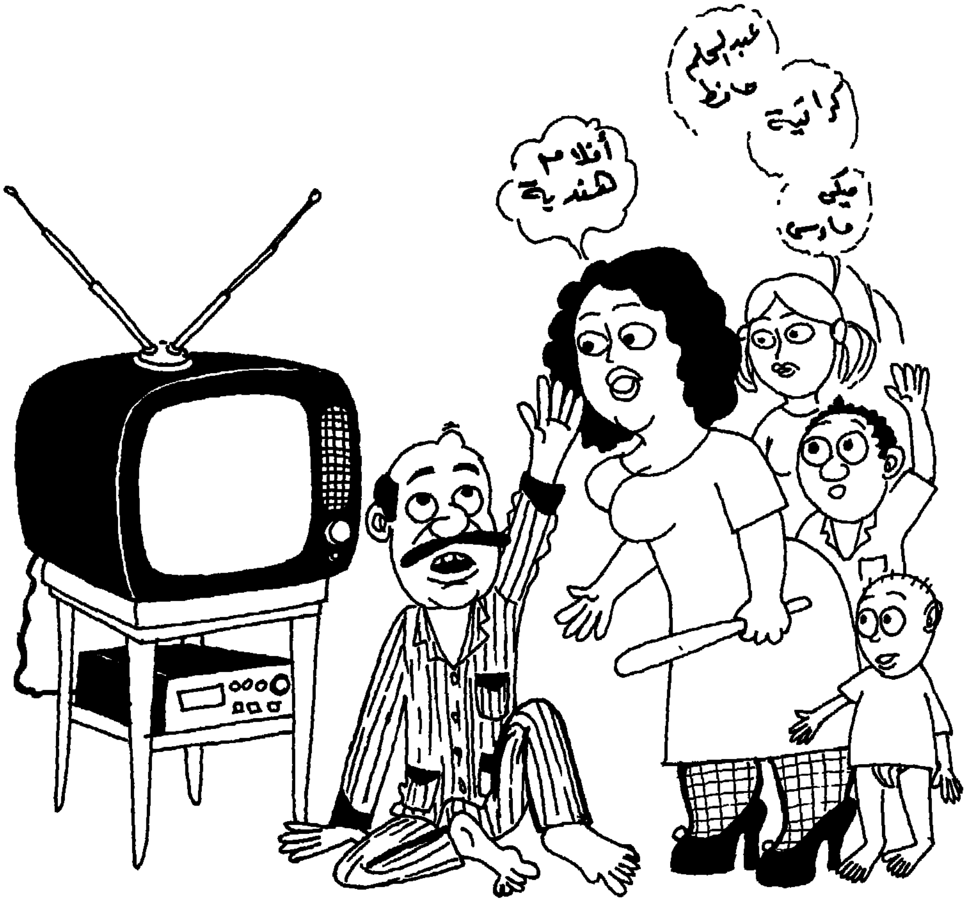
لازلت أحلم بأن أعود لأداء دورى فى الحياة.. دور ينفع الناس، ولا يؤلم مشاعرى.

أحلم أن يشترينى رجل مثقف فأكون منتدىً للمثقفين؛ يجتمع حولى بشر من نوع غير روادى السابقين..

لست متأكداً من حدوث ذلك لكننى لا أملّ الأحلام، فنحن ـ الجماد ـ نؤمن أن الأعمال العظيمة تبدأ بأحلام عظيمة.



يوميات فيـــديو


أفلام هندية
عبد الحليم حافظ
كراتية
ميكي ماوس

يخطىء الإنسان عندما يتصور أن الجماد لايشعر بالإرهاق من كثرة العمل. . فعلى الرغم من تقدم العلوم و «التكنولوجيا»، واختلاف المواد التى خلق منها الله المخلوقات المختلفة. . على الرغم من كل ذلك وغيره يظل. . الإرهاق. . صفة كونية تصيب كل المخلوقات، وإن اختلفت المسميات والتفاصيل.

إن الإرهاق عندما يصيب الإنسان، ويهمل العلاج، فإن الأمراض سريعا ما تجد طريقا سهلا لجسده، ونفسيته، وتكون النتيجة الحتمية هى الشيخوخة اللعينة، التى تذهب بالنضارة والحيوية.

وهكذا. . نحن الجماد. . إن الإرهاق يعجل بنهايتنا. . وربما أسرع من الإنسان. . إن علاجنا يرتبط بعنصرين نادرين هذه الأيام ـ وهما للأسف يملكهما الإنسان الذى يمتلكنا ويتحكم فى مصائرنا نحن معشر الجماد ـ إنهما. . الوعى والرحمة.

آه. . إننى أشعر بالمرارة الشديدة. . قلبى يقطر ألماً. . قطرات الزيت والشحم تنساب من عيونى؛ لكثرة ما أعانى من صانع الحضارة وأدواتها. . من الإنسان. . ليتنى أستطيع أن أصرخ عاليا. . ليته يفهم لغتى. . «زمجرة». . تروسى وسيورى. . وأجهزة المقاومة بأحشائى. . والتى كثيرا ما تعبر عن احتجاجها بالتوقف عن العمل. . وعبثا حاولت أن يفهم الإنسان معنى إضرابى عن العمل لعدة أيام، وهو ما يسبب له من ثورة، يظل خلالها يلعن اليوم الذى اشترانى فيه، ويهدد بتكسير رأسى، أو التخلص منى بالبيع بأبخس الأثمان. . كل ذلك بسبب إضرابى، واحتجاجى على سوء معاملته لى.

لعلكم تعلمون أنى أداة ناقلة. . يوضع فى فمى علب مستطيلة تسمى «شرائط»، ولكم أعانى من هذه الشرائط!!! ليس فقط بسبب الأتربة التى تأتى بها من الرفوف المكشوفة فى المحلات التى تؤجرها، أو تبيعها، لتصب على رأسى هذا الكم من الغبار، وليس سبب حزنى أيضاً تهالك مادة هذه الأشرطة التى تجرى على رؤوس

أشقائى لاهثة فى ذهاب، وأياب، وإيقاف، وتشغيل. . إن حزنى الحقيقى يأتى من تلك المواد التى تحملها والتى سجلت عليها من شقيقنا الأكبر (توماتيك).

منذ أسبوع. . أحضر رب الأسرة التى أعمل بها مجموعة من الأشرطة. . خمس شرائط، كلها تتفق فى الشكل الخارجى، لكن المضمون شىء آخر. . وما إن دخل صاحبنا البيت، حتى هجم على «كيس» الأشرطة ـ الذى يحمله ـ معظم من فى البيت تقريبا. . الزوجة. . وثلاث بنات، أعمارهن تتراوح ما بين ١٤ ـ ٢٠ عاما، وطفل لم يتجاوز العاشرة، وبقى خارج البيت من أفراد الأسرة الابن الأكبر الذى تجاوز سن الرشد بشهور قليلة. . أخذ الجميع يصيحون فى سعادة، وهم يتساءلون عن أسماء مواد الشرائط.

الأم: تحب الأفلام الهندية الطويلة الرومانسية. . تحب أغانيها، وموسيقاها ومناظرها الخلابة، وتتغزل طوال وقت مشاهدة الأفلام فى بطلاتها الجميلات. . شعورهن الطويلة، وخصورهن النحيلة، وعيونهن التى تشبه عيون البقر الذى يحرمون لحمه. . ومناطق أخرى أخجل من ذكرها. . الزوجة دائمة السؤال عن جمال نساء الأفلام الهندية.

لقد رأيت الهنديات عندما كنا نعمل فى إحدى دول الخليج. . لاتوجد أى منهن بجمال نجمات الأفلام الهندية اللائى يرقصن كالفراشات.

أما الزوج: فهو مغرم «صبابا» بأفلام فريد الأطرش القديمة، وكذلك أفلام ليلى مراد. . معجب بشكل خاص بالاستعراضات التى تضمها هذه الأفلام. . مئات الراقصات. . وكثيرا ما تنشب المعارك بينه وبين زوجته اذا حاول المسكين أن يعبر عن إعجابه بهذا القوام الجميل. . أو ذلك الخصر النحيل. . الخ. . تقوم القيامة إن هو حاول أن يتحدث عن موقع الجمال فى أى امرأة. . وكم فى المرأة من مواقع!! وكم فيها أيضاً من فواجع!! نسأل الله السلامة.

ونأتى إلى الفتيات الثلاثة: مروة: تعشق أفلام، وأغانى عبدالحليم حافظ. وأميرة: تحب أغانى الشباب الراقصة. . أما حنان: فهى أسيرة لأى فيلم بطلته سماح أنور، أو مديحة كامل. . «وياريت. . ياريت» يكون البطل سمير صبرى.

أما الابن الصغير أحمد: فهو يهوى أفلام إسماعيل ياسين.

ويبقى الابن الأكبر نبيل، الغائب الآن فهو يهوى أفلام الخيال العلمي، وأغاني مايكـل جاكسـون. . هذه تجربتي مع مزاج الأسرة التي أعمل بها، والتي يتصارع أفرادها مع والدهم؛ من أجل حصول كل منهم على شريطه المفضل. . وكم عانيت من معارك كثيرة بين أفراد هذه الأسرة من أجل الأستئثار بي وتشغيلي. . وكذلك زميلي البائس المسمى «تليفزيون» الذي ما إن رأى تكالب الأسرة على الشرائط التي يحملها الأب حتى شعـر كما شعرت بإحباط شديد؛ فنحن الاثنان نعاني من إرهاق شديد لعملنا شبه المتواصل لإرضاء أذواق غير متوافقة. .

ولعلني أحسن حالاً من صديقي التليفزيون. . في الأوقات القليلة التي تغضب فيها الأم فترفض شراء مزيد من هذه الشرائط اللعينة. . أو عندما تصبح كل الشرائط قد سبق مشاهدتها، وكذلك - نادراً - عندما يقدم التليفزيون مادة جديدة، أو حفلا، على الهواء، أو مباراة كرة قدم، وفي بعض الأحيان. . عندما يصمم الأب على ممارسة حقه في مشاهدة نشرة الأخبار. . فباستثناء هذه الأوقات، فأنا دائم العمل، وبلا وعي أو رحمة.

لا يزال الأب يقبض على الشرائط، التي يحملها في حرص على غير العادة. . أخذ يخرج من الكيس الـواحد تلو الآخر، ويفحصه بدقة، ويتأكد من مادته، واحتفظ بشريطين داخل الكيس، حيث وضع عليهما علامة مميزة. . وإن كتب عليهما أسماء أفلام معروفة!!!

وفي الحاح كانت الزوجة، والأولاد، يريدون التعرف على مادة الشريطين اللذين احتفظ بهما الأب. . وزادهم فضولا إصرار الأب على التمسك بهما. كان إصرار الأب عنيدا في الاحتفاظ بهذيه الشريطين باعتبارهما أمانة من صديق له؛ لتسليمهما لأحد زملائه في العمل ولا يجوز أن يشاهدوهما.

ومع مزيد من إلحاح الأسرة على مشاهدة الشرائط. . استشاط الأب غضباً. . وجاء قسمه بأن يذهب الجميع الى مخادعهم والنوم الآن. . جاء القسم قاطعاً؛ فهو من العيّنة التي اعتاد البشر أن يطلقوها بلا حساب، رغم ما تنطوي عليه من خطورة، عندما يتعثر التنفيذ، وربما احتاج الأمر إلى محلل.

سعدت جداً بهذا الحزم من رب الأسرة، ولمحت زميلي التليفزيون، يكاد يرقص من الفرح؛ فها نحن سوف ننام ليلة واحدة قبل أن تبزغ شمس الصباح. . سترتاح هذه الليلة رأسي، وسيوري، وتروسي، وأحشائي كلها.

دخـل البنـات الثـلاث، والابن الأصغـر إلى حجـراتهم، وسمعتهم يتمتمون بعبـارات الاحتجـاج المكتـومـة، كلمات لا أعـرف كل معانيها. . «ديكتاتورية». . «ديمقراطية». . حكم القوى على الضعيف. . الخ.

مرت ساعـة كاملة: خلدت خلالهـا لنوم لذيذ. . ما أمتع النوم عندما يستولى الإرهـاق على أى مخلوق. . ياإلهى. . لقد حل السكون بالمنزل، وإن كنت أسمع بعض آثار ضجيج يصدر من قريب لنا اسمه «راديو كاسيت»، لا أعرف لماذا ظل يردد كلمة واحدة عشرات المرات بإيقاعات صاخبة. . أصل أنا ميال. . ميال. . ميال. . ميال. . هل حدث عطل «بالراديو»؟.

بعـد قليل. . فوجئت بالأب يضرب بيده على باب الغـرفـة المجـاورة قائلا فى غضب: «نامى يابنت أنت وهى، وطى صوت الكاسيت عايزين ننام».

لم أسمع أى رد من حجرة البنات، اللهم صوت واحد من مطربى هذا الزمان، بعض الكلمات الغريبة جداً، لم أستطع أن أفهم أى معنى لها «أيه الأساتوك ده. . اللى ماشى يتوك ده. . ايه ورد الجناين ده. . كلمنى كلم».

تسـاءلت فى نفسى: كيف يسمح بنو البشر بدخول هذه الكلمات، والأغانى الهابطة إلى بيوتهم لتفسد ذوق الشباب وتدعو الى الخلاعة وقلة الذوق؟ أقسمت فى نفسى: أنه إذا ما جاءنى شريط، يحمل أغنية مثل «الأساتوك ده»، أو تلك التى أسمعهاكل يوم تقريبا «سلملى بقى ع الترماى» فسوف أضرب عن العمل، وأتوقف عن البث، وليحدث ما يحدث.

بينما أنا فى تأملاتى هذه، أستمتع بالاسترخاء اللذيذ، واذا بيد تمتد، وتحملنى بسرعة، وحذر، وتمضى بى إلى غرفة نوم الزوجين. . إنه رب الأسرة. .

أخذ يوصل بينى وبين زميل جديد. . إنه تليفزيون غرفة النوم، وبدأ التوليف بعد أن وضع أحد الشريطين اللذين ادعى أنهما أمانة سيوصلها لأحد زملائه. .

وظهرت الصورة. . ليتها ما ظهرت. . لعلكم تتساءلون: ماذا ظهر؟ إنى أشعر بالخجل. . نعم بالخجل. . إن الجماد يشعر بالخجل من كثير من تصرفات الإنسان وسلوكه. . ولكن ماذا بيديه أن يفعل. . سأقولها. . إنها شرائط تحمل مناظر، وأصواتا خليعة لأناس لا يستحون. . لا أستطيع النطق بما يفعلون.

لقد ظل المجون، والجنوح، والسفور، وقلة الحياء، فوق ما أحتمل، أو يحتمل شريكى التليفـزيون الذى حاول الاعتراض من لحظة لأخرى بإضاعة الألوان تارة واهتـزاز الصـورة بعنف تارة أخرى، فراحت هذه البذاءات تمر بسرعة لعل صاحبنا يخجـل. دون جدوى. . وبعـد أن يئس الرجل من استقرار الصورة. . راح يسب ويلعن، ويتوعد بتحطيم هذا التليفزيون المهذب، وبيعه بأبخس الأثمان. . أنها عادة البشر، عندما يعترض الجماد. . مجرد اعتراض على سلوك أحدهم. . هذا الاعتراض الذى يتمثل فى توقفنا عن العمل لبعض الوقت، فى سبيل أن يشعر البشر بأهميتنا أو لتصحيح موقفه منا، ولكنه يزيد من صلفه وقسوته ويظل يسب ويتوعد.

فوجئت بالرجل يفصل بينى وبين زميلى التليفزيون المهذب، وينزع السلك الذى يوصـل بين نبضينا، ليحضر زميلاً آخر، أكبر سناً من الزميل الذى اعترض واهتز كيانه. . وبدأ من جديد، يولف بينى وبينه وهو لا يعترض؛ فعلى ما يبدو أن خبرته الكبيرة جعلته لايبالى، أو لعله أصيب بإحباط مزمن، جعله لايبالى.

قضى الرجل ساعتين وهو يتابع هذه المهزلة، بينما زوجته تستغيث به طوال الوقت أن يخفض من الصوت، الذى يحمل كثيراً من المجون. . لقد كانت الزوجةالمسكينة تموت رعبا كل لحظة وهى تفكر: ماذا سيحدث لو أن ابنها الأكبر عاد من الخارج، وسمـع ما تسمعه، أو أن الصوت قد تسرب إلى غرفة البنات، أو دفعهم الفضول للتصنت؟. رغم الكثير من التوسلات لكن الزوج كان فى واد آخر.

اليوم. . هو الخميس. . وهذا اليوم الذى شهد الكارثة. . نعم كارثة، وبكل الأبعاد. . فقد خرج الزوجان، لزيارة عائلية فى مكان بعيد، وتركا الأبناء.

وانتهز الابن الأكبر الفرصة، وذهب إلى النادى؛ للقاء أصدقائه. . وبقيت فى البيت الفتيات الثلاث. . وأخوهن الأصغر. .

تسللت الابنة الكبرى. . تسللت إلى حجرة الوالدين. . ويا لها من مفاجأة!! لكنها ليست سارة على كل حال.

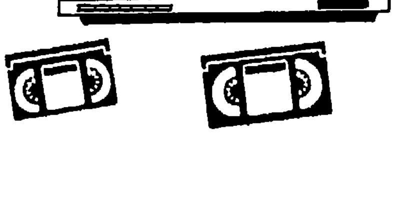
ما إن ضغـطت على زر التسجيل الخاص بى. . ما هى إلا لحظات حتى تسمرت الفتـاه فى مكانها، وهى لا تكاد تصدق. أهذه هى الشرائط التى ادعى والدها أنها أمانة، أرسلها صديق لزميل له فى العمل؟ أهذه هى الشرائط التى رفض الأب أن يشاهدها الأبناء؟ ولماذا شاهدها هو!؟. . وهل كانت الأم تشاركه فى مشاهدتها!!؟

ماما . . هذه السيدة الوقورة المتدينة . . كان الديالوج الداخلى يدور فى أعماق الفتاة ، . . يدميها ، وينخر فى عظامها ، ويحطم أعصابها . . وهى واقفة تشاهد ماتشاهد . . فاغرة فاها . . لاتتحرك . . أخذت تردد فى ذهول عميق : ليه؟ ليه كده يا بابا؟ ليه يا ماما؟ ليه!!!؟

أفاقت الفتاة على مفاجأة أكثر إيلاما . . وجدت خلفها شقيقتها ، وهما تشاهدان ما تشاهد ، وإن اختلفت المشاعر ، وردود الفعل .

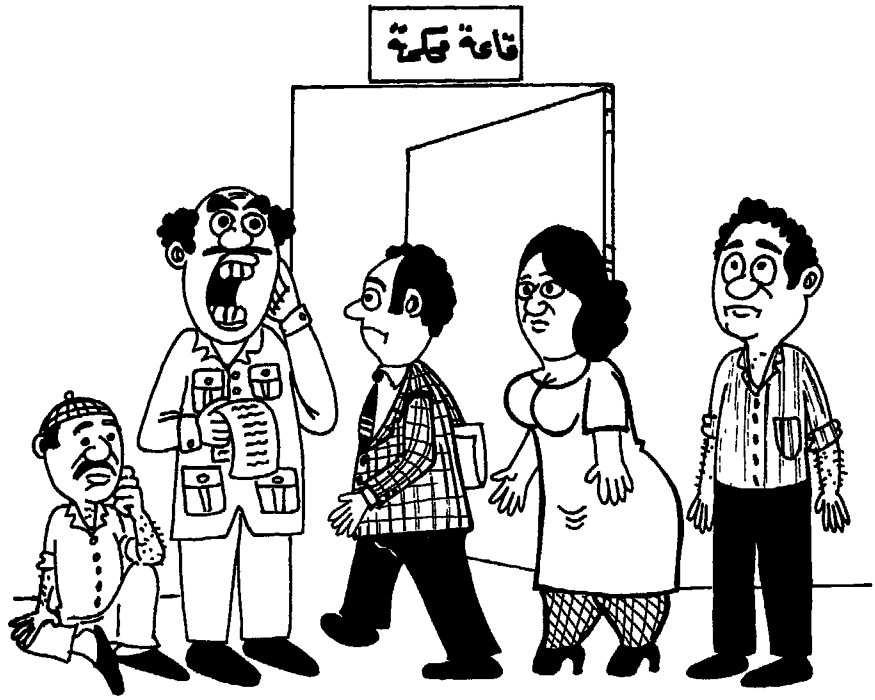
أما الشقيق الأصغر الذى وقف يشاهد هو الآخر ، فقد أخذه الفضول بالكامل . . همت الفتاة بإغلاق التليفزيون بسرعة ، لكن شقيقها تشبس بها ، قائلا : أرجوك خليه شوية . . صفعته صفعة تحمل كل مرارة الموقف . . ثم انتابها بكاء عنيف .

بكيت . . أقسم لكم أنى بكيت . . زيوتا وشحوما ذرفتها عيناى . . قلت فى نفسى : لقد فضل الله الإنسان على سائر مخلوقاته . . العقل والإدراك . . أين كل هذا؟ إن الإنسان بما يرتكبه من حماقات يسبب لغيره من أبناء جنسه ـ وربما لأقربهم إليه ـ مآسى كتلك التى أحدثها صاحبى الذى أخجل بعد اليوم من خدمتى له . . ليته يبيعنى . . أو يحطمنى كما يهدد دائما . . فان ذلك ـ ولاشك ـ أكرم لى مما أنا فيه .





يوميات
قاعة محكمة


قاعة محكمة


العدل أساس الحكم

عندما تبتعد المسافة بين الواقع، والخيال، تصبح الحقيقة هى الضحية.

أقول ذلك بمناسبة الأعمال الفنية التى تعرض فى وسائل الإعلام المختلفة، والتى تصورنا نحن «قاعات المحاكم» ففى الأفلام، والمسلسلات، والمسرحيات، وغيرها..

تبدو قاعة المحكمة فى صورة رائعة من: حسن التنظيم، وجمال التأثيث، وتكامل المظهر. لاتوجد نقطة عرق واحدة على جباه الابطال فى هذه الأعمال الفنية، مما يوحى بأن القاعة مكيفة الهواء، (وآخر تمام).

للأسف، فالواقع يبتعد كثيراً عن الصورة، التى تبدو فى هذه الأفلام.

أنا لست وثيرة التأثيث، ولا منظمة المقاعد، والمنصات.. ولست أيضاً مكيفة الهواء.. إن مقاعدى، ومنصاتى، صنعت قبل ربع قرن من الزمان، وهذا يكفى لكى تتصوروا حالتها، خاصة، إذا أخذ فى الاعتبار، حجم الاستعمال ومستواه.. أما أرضيتى.. فهى مأساة كاملة: ألواح خشبية متراصة، أكل الدهر عليها، وشرب، من كثرة ما عانى من إهمال.. تزينه حروق السجائر، التى يلقى بها الكثير من البشر، دمن رحمة، أو لياقة.. لو أردت أن أكمل الوصف لخال لمن يقرأ يومياتى هذه: أن هذا الوصف ينطبق على أى شىء، ما عدا قاعة المحكمة.. هذه باختصار مشكلة المكان.

أما من يرتاد المكان من بنى البشر، فذلك شىء آخر. فإن ما يحدث بداخلى أمر شديد الشبه بالمآسى الإغريقية، بكل ما تمثله من حزن، وألم، وفواجع.

أشعر هذه الأيام بأرق شديد، فلا أكاد أنال قسطاً مناسباً من الراحة: فى النهار، أنشغل بالجلسات، وما أدراك ما الجلسات... وفى الليل، عندما أخلو إلى نفسى أظل أتعذب عندما أستعيد شريط أحداث الجلسات.

إننى أرقب عن قرب، وباهتمام كبير، كل ما يحدث داخلى من أحداث، وأشعر بغصة كبيرة من نوع من البشر، يسمونهم (محامين) يا إلهى!! كم من هؤلاء الناس، من

يرتكبون خطايا ، ترقى إلى مستوى الجريمة ، كما أن من بينهم من لديه ضمير حي وقلب عامر بالمُثُلِ، والخير.

أحد المحامين من النوع الأول . . الانتهازي . . سمعتهم ينادونه، وقد سبق اسمه لقب (متر) أقسم أن أفعاله لا ترقى إلى (سنتى متر) . . المتر يسمى (وجيه رسمى) هو كثير الحضور إلى هنا . . سمعته يوماً يترافع ، فلم أقتنع به إنه كما يسميه البشر، يلعب بالبيضة والحجر، يعنى بهلوان . . ما أن يأتيه وكيله ، وهو أيضاً من نوعه . . (أراجوز) ، عندما يأتيه وكيله بزبون جديد ، اصطاده بطريقته الخاصة التى يطلق عليها بنو البشر عبارة رديئة : (فهلوة) . ما إن يجلس الزبون، أو الضحية مع المتر، ويشرح مشكلته ، حتى يأخذ المحامى فى تعقيد كل الأمور أمام الزبون، ويتهم زميله ـ الذى سبقه فى معالجة القضية ـ بأنه لا يفقه شيئا، وأنه أغرق الزبون، ويظل يصعد ويصعد فى الأمر، حتى يظن الزبون أنه ملاق عشماوى لا محالة .

وما أن يصفر وجه المسكين،وترتعش أوصاله، حتى يبدأ المحامى فى إلقاء شبكته . . إن لديه حلاً سحرياً . . لا أحد فوق هذه الأرض يستطيع إنقاذه سواه . . إن لديه خطة جهنمية . . لكنها تحتاج إلى جهد كبير مضن . . سيبذله بالطبع من أجل سواد عيون الزبون . . وهكذا : ثم يدفع المسكين . . . ويدفع . . . وهو يرجو أن يحظى بمزيد من اهتمام ، وعبقرية المحامى الهمام .

إن لهذا المحامى طريقة لايغيرها . . نفس (الأسطوانة) . . كثير من البشر يقعون فى براثن هذا المحامى، ، الذى يعتمد فى عمله على وسائل خبيثة، وملتوية، يصل بعضها إلى حد التزويرالحذر، وعلى المذكرات التى يقدمها للقضاة، والتى أعدها محامون موهوبون، يعملون فى مكتبه كموظفين . . يدفع لهم الفتات، ويأخذ هو نصيب الأسد، بل ونصيب الغابة كلها.

الغريب فى الأمر أننى قد شاهدت بنفسى هذا المحامى، معدوم الضمير ، يلعب على الحبلين . . أى والله . . موكله وخصمه . . ففى إحدى الجلسات لم يكن موكله حاضراً، بينما كان الخصم متواجداً يتابع الجلسة . . وقبل أن ينادى على القضية جلس المحامى بجوار خصم موكله، وقال له : إيه رأيك يا تمام بيه عايزين نخلص القضية بدون محاكم، ووجع دماغ . . ظن الرجل أن المحامى مخلص فى عرضه .

فقال له : قوى قوى . . هو أنا عايز مشاكل، إيدى على كتفك . لمعت عينا

المحامى وقال: إذن سأطلب من أحد المحامين فى مكتبى، يطلب التأجيل، حتى نتفاهم . . قبل الرجل على الفور .

علمت بعد ذلك، أن هذا الخبيث قدأقنع الرجل، بأن قضيته خسرانة مائة فى المائة، كما استطاع إقناع موكله بنفس الشىء، وأوهم كلا منهما بأن ما يستطيع أن يحصل عليه لكل منهما، فهو مكسب . . واستطاع أن يحصل من كل منهما أيضاً على أتعاب كبيرة باعتباره قد أحضر «الديب من ديله» كما يقولون .

ليس ذلك فقط ، بل إنه قد تعاقد مع (تمَّام) بيه ، على أن يكون مستشاره القانونى، ففى شريعته «الغاية تبرر الوسيلة»، وأهو كله مكسب . . وطالما أن الزبائن يبتلعون الطعم، الذى لا يغيره، فهو مضمون دائما . . طُعم تضخيم المشكلة، واللعب على وتر ثقة الناس، وحسن نيتهم، فلا مانع من العمل بنظرية (رزق الهبل على المجانين) وهو طبعاً ليس مجنوناً بل «رجل شاطر» والشطارة مش عيب . .

وفى الوقت الذى رصدت فيه هذا المحامى الأفَّاق، فإن هناك محاميا آخر تابعته، وعاصرت أحداثا هامة أسجلها لله وللتاريخ: فى أحد الأيام حضر أحد سماسرة القضايا . . نعم سمسار ، فالبشر لا يملون من إخضاع كل شىء فى حياتهم للسمسرة ، ويجدون لها مئات التبريرات . . لقد تعامل السمسار «عطوة الفهلوى» مع معظم المحامين ، المترددين على الجلسات إلا هذا المحامى . . منير شحاته . . لماذا لا يجرب الفهلوى اختراق هذا الرجل أيضا؟ .

سمعته يقول له بصوت مرتعش: .

(عندى زبون كويس يامتر عنده قضية سقع) . . قال له المحامى المحترم:

يابنى أنت عارف أنى لا آخذ قضايا بهذا الشكل . .

ظل يتوسل إليه، أن يقابل المعلم غريب ، ولن يندم . . وافق على مضض، وقابل المعلم ، ولكن بدون حماس . . قال:

خير يا معلم . . القضية إيه بالضبط .

مخدرات ياأستاذ .

مخدرات ! ! ياساتر يارب . مين المتهم ؟ .

واد من صبيانى، اسمه جلال . . لسه غشيم . . اتمسك بشوية بودرة . . كام تذكرة كده ع الماشى . . قال المحامى :

اسمـــع يا معلم . . «أنت عارف أن المحـــامى زى الـــدكتـــور. . والمتهم زى المريض . . علشان كده، لازم المريض يكون صريحاً مع الطبيب، علشان يشخص المرض مظبوط، ويكتبله العلاج المناسب» . . رد المعلم :

(عداك العيب يا أستاذ . . بصراحة أنا خايف ان الواد يجيب رجلى فى القضية دى وكلك نظر) .
-(يعنى سيادتك بقى بتاجر مخدرات)؟ .

وقبل أن يكمل المحامى كلمته، كان المعلم قد دس يده فى جيبه وأخرج لفافة، بها كمية كبيرة من النقود - لم أستطع اكتشاف عددها - ومد يده يناولها للمحامى ، الذى أشاح بها بعيدا عنه، وقال فى غضب كبير:

«خلى فلوسك فى جيبك ياراجل أنت، واغرب عن وجهى، قبل ما أوديك فى داهية . . أنتم ناس معندكمش ضمير ، بتقتلوا ولادنا وشبابنا بالسموم والبلاوى اللى بتبيعوها لهم . . والله أنتم لازم تتحرقوا حرق » . . ثم نظر المحامى إلى السمسار عطوة قائلا: .

(أنا بتاع القضايا دى يا ياعطوة - على كل حال لك معايا حساب) .
خرج المعلم غريب وهو يتمتم : .
(والله لأجيب للواد جلال سيد سيدك يا محامى يا . .) .
هذان النمـوذجـان شاهدتهما بعينى رأسى . . محاميان : أحدهما لا ضمير له ولا مبدأ . والثانى لا يخشى فى الله لومة لائم . . وقد يقول قائل : .

إن البشر فيهم الصالح، وفيهم الطالح . . وهنا، أقول: .

نعم، ولكن البشر الـذين يعملون فى ميدان تحقيق العدالة ، لا بد وأن تتوفر لديهم مواصفات خاصة . . لا بد من اختيارهم من صفوة المجتمع ، لا يفرضهم على المجال النبيل مجموعهم، ولجان التنسيق وغيرها كما يحدث هذه الأيام .

منذ أيام كان (الرول) مزدحماً بالقضايا . . جلست هيئة المحكمة منذ العاشرة صباحا وحتى الخامسة . . كان هذا اليوم : يوم النطق بالحكم فى العديد من القضايا

، بعد أن أخذت مراحل كثيرة فى الدفاع ، سواء من النيابة، أو المحامين . . شهد هذا اليوم تحويل أوراق كثيرة إلى فضيلة المفتى، الذى يؤيد عادة كل أحكام الإعدام التى تعرض عليه.

ثلاثة شبان . . ذئاب بشرية ، انقضوا على فتاه، واغتصبوها فى قسوة خسيسة قبل موعد زفافها بثلاثة أيام فقط، وبينما كانت مع خطيبها فى السيارة، عائدين من مشاهدة معارض الأثاث، لشراء حاجات منزل الزوجية الجديد .

وقف المتهمون فى القفص ، مطأطئى الرأس، بينما جلست الفتاة ، وأمها ، فى حالة انهيار شديد. أما الأب المسكين، فقد بدا زائغ العينين فى ذهول. . الغريب فى الأمر، أن هؤلاء الذئاب ، انهاروا تماما بعد النطق بالحكم. . وبدأوا فى البكاء .

كانت القضية الثانية على نمط قضايا هذا العصر.

شاب فى مقتبل العمر. . أطلق النار على والديه، فأرداهما قتيلين . . وقف الشاب فى ذهول، لا تنبى شفتاه بأى كلمة، حتى بعد النطق بالحكم عليه بالأشغال الشاقة المؤبدة.

ثم: ها هى الزوجة الخائنة. . ارتكبت الرزيلة مع عاطل. . وزاد جنوحها، فحملت الفأس فى أحد الأيام، وانقضت به فوق رأس زوجها، وظلت تضرب فى أنحاء جسده، حتى بعد أن أسلم الروح . حدث هذا أمام أطفالها الثلاثة.

وكان ختامها حزن . . حزن عميق. . لم أتمالك نفسى، وأنا أنظر إلى هذه المرأة، التى وقفت فى منتصف القفص جاحظة العينين فى غير اكتراث. .

تمنيت هذه اللحظة أن أطبق عليها، أو أن يقوم زلزال يتركز كله فى هذا القفص . . لا. . لا هذا قليل جدا.

تصوروا: إن هذه السيدة قد قتلت ، وبمعاونة ابنتها، زوجها وابنها عندما اكتشف خيانتها مع سائق تاكسى اشترته له من أموال زوجها، الذى ذاق الهوان، وهو يعمل فى إحدى الدول الشقيقة. . ياإلهى !!، ما هذه القسوة والوحشية والتدنى!!؟

رفعت الجلسة ، وغادرنى كل من دخلنى. . كنت مرهقة للغاية. . وعندما جاءنى الفراش، ليمسح عن قاعدتى أعقاب السجائر، وبعض الأوراق الملقاة. .

لكن: هل يستطيع أن يمسح عن كاهلى كل هذه العذابات التى عشتها اليوم، وأنا أتابع أحداث الجلسة المحزنة التى شهدتها؟

لا يزال صوت القاضى يهدر فى أذنى، وهو يحيل أوراق قاتلة ابنها وزوجها، الى فضيلة المفتى.. قال القاضى:

إنه من المؤسف أن قانون العقوبات لم يتضمن ما هو أكثر من عقوبة الإعدام؛ لكى أحكم به على هذه المرأة.. لاأستطيع النوم، وقد تماثلت أمامى صورة هذه الأم وهى تحمل السكين، تذبح به فلذة كبدها، وتقطع أوصاله، وتضعه فى كيس، حملته بعد ذلك لتوزع أجزاء جسده، فلذة كبدها، كل جزء فى حى من الأحياء؛ حتى يصعب التعرف عليه.. لطفك يارب!! لقد توحش هؤلاء البشر، وزاد طغيانهم وقسوتهم.

أخ يقتل أخاه.. وابن يقتل أباه.. وأم تقتل ابنها، وزوجة تذبح زوجها.. لطفك يارب..

أب يأتى للمحكمة تبلل قطرات دموعه أرضيتى، وهو يروى للقاضى عقوق ابنه، بعد أن بلغ من العمر عتيا.. وأن ابنه، وبالرغم من أنه ميسور الحال، لا يتكفل بهذا الأب، الذى جاوز عمره السبعين، وبعد أن أنفق عليه كل ما يملك.. كان الأب يدخر ابنه لشيخوخته.. ما هذا العقوق!!؟ لطفك يارب!!.

وهذه السيدة التى طلب محاميها أن تكون الجلسة سرية، وبعد خروج كل من جلس على مقاعدى - أخذت تروى أسراراً زوجية مخجلة، ليس لها أى أساس من الصحة.. فقد لقنها محاميها الشرير كلمات جارحة، لتحصل على الطلاق.. لم تستح المرأة وهى تشرح أمام المحامين والقاضى أشياء أخجل من إعادة سردها.. وعندما لم يقتنع القاضى بالتلقين، الذى أخطأت فى سرده، رفض الدعوة.. نظر إليها الزوج وقال بحزم: سلوى أنت طالق.. لقد كنت متمسكاً بك من أجل أولادنا.. أما الآن فأنت غير جديرة بأمومتهم.. وترد عليه الزوجة بكل استهتار: «أهم عندك اشبع بيهم».

على بابى كان السبب فى انتظارها، إنه العاشق الذى أؤكد أنه سيتخلى عنها فى أقرب فرصة.

لم أعد أستطيع الاحتمال. . لم أعد أستطيع احتواء كل هذه المهازل. . سمعتهم منذ أيام، يتحدثون عن عمليات ترميم، وتجديدات، يودون أن يقوموا بها فى أجزائى المختلفة. . ليتهم يفعلون ذلك، فأرتاح بعض الوقت من همومهم، ومشاكلهم، وصراعهم، وعقوقهم، ووحشيتهم . . ليتهم يبدلون دورى، فيضعون الأقفاص الحديدية فى أرجائى، ويحضرون وحوشاً وحيوانات تسكنها .

فلا شك أن سكانى الجدد سيكونون أكثر رحمة من هؤلاء الذين يطلق عليهم : «بشر» .



يوميات
ملعب كــرة قدم





سبع سنوات مرت حتى الآن على يوم افتتاح الإستاد العملاق الذى انتمى إليه. لاأعرف هل أسميها: سنوات عجاف.. إنها ليست كذلك بالمعنى الدقيق، فلقد امتلأت بمئات الألوف من المتفرجين، ومئات أخرى من الرياضيين والأبطال.. هل

أقول أنها سنوات سمان.. هذا أيضا تعبير غير دقيق.. حيث شهدت هذه السنوات كثيرا من الأحداث والسلوكيات المؤسفة.. على العموم فلنترك التسمية الآن، ولأستمر فى تدوين مذكراتى؛ علنى أستريح مما أصابنى من ألم وإحباط.

ولا زلت أذكر يوم افتتاح الكيان العملاق ـ الذى أمثل واحد من منشآته ـ. لقد كان افتتاح الاستاد الرياضى حدثا حضاريا هاما جذب الأنظار للمدينة التى أقيم عليها.

وكـذلـك فقـد جذب الانتبـاه لمجموعة من المسئولين أشرفوا على عملية البناء والتجهيز؛ من اجل أن يخرج هذا الإستاد العملاق بهذه الصورة الرائعة.

كما قلت فأنا جزء من هذا الكيان الكبير، وقد تم تخصيصى كملعب لكرة القدم

أمـا أشقائى فقد تخصصوا للعبات أخرى كثيرة.. أضافة إلى حمام السباحة، ومنشآت أخرى كثيرة رياضية، وإدارية.. تختلف فى شكلها لكنها تشترك فى خدمة الإنسان سواء كان يمارس رياضته المفضلة، أو هو مشجع لهذه اللعبة أو تلك.

لكنى لأحـظت ومـع مرور الوقت أننى صاحب حظوة ـ خاصة ـ بين أشقائى الملاعب المنتشرة فى الإستاد.. ليس لحجمى الكبير فحسب، ولكن لأهمية اللعبة التى تتبارى الفرق ـ على بساطى الأخضر ـ عليها.. إنها كرة القدم وما أدراك ما كرة القدم.

سبع سنوات مرت الآن، وأنا أشاهد مئات، ومئات من اللاعبين، والمدربين، والإداريين داخـل البسـاط الأخضر، وبالقرب من خطوط التماس.. مدرجاتى كم حملت من الجماهير، عشاق هذه اللعبة ومجاذيبها.. لكم اهتز كيانى لزئيرها الذى لاينقطع.. لقد تحملت الكثير.. بل الكثير جداً.. حتى فاض الكيل، وتجاوز الصبر حدوده.

الشهـر المـاضى. . كان موعـد إقامة مبارة بين فريقين: أحدهما يحتل صدارة الدورى، وكان الآخر يحتل المركز الخامس. . لكن فارق النقط لم يكن كبيرا. . ثلاث نقـاط فقط. . المباراة هامة لاشك. . قبل أربع ساعات بدأت الجماهير تزحف على الأبواب الخارجية للإستاد.

مجمـوعة من الشباب فى مقتبل العمر لم تشتر تذاكر للدخول، فقامت بتسلق السور الحديدى الخارجى . . لمحهم جنود الشرطة، فسارعوا لمنعهم؛ فما كان منهم سوى أن ألقوا بأنفسهم ـ دون اكتراث ـ داخل السور، فجرح بعضهم. أما البعض الآخر: فقد وقع خارج السور مصابا أيضا. والفريق الثالث منهم: وقع أيضا، ولكن فى أيدى رجال الشرطة الذين قذفوا بهم فى سيارة كبيرة، أحضروها خصيصاً لمثيرى الشغب.

لاتزال الجماهير تتوافد على الإستاد. . معظمهم يحملون فى أيديهم لفائف وأكياس من كل نوع. . أغلبهـا بها مأكـولات، وزجاجات مياه غازية، وعصائر. بعد أن اجتازوا البوابات الخارجية، والطريق المؤدى إلى مدرجاتى. . . بدأوا فى الدخول. .

إن مدرجـاتى مقسمة إلى درجات مختلفة: مقصورة، ودرجة أولى «أ»، وأولى «ب»، وثانية، وثالثة. .

كثـير من الجمهـور. . من هؤلاء الـذين يصفونهم بكلمة غريبة (فهلوة) هؤلاء الفهـالوة أرادوا تحسين مواقعهم؛ فحاول البعض منهم القفز من الدرجة الثانية إلى الأولى، ومن الثـالثة إلى ـ الثانية، وهكذا. . وهو ما يحتاج إلى تجاوز سور حديدى جانبى يحرسـه جنود الشرطة. . وبالفعل فقد لمح الشرطى أحد هؤلاء الفهالوة وهو يحاول القفز فامسك به، ورده فى عنف يستحقه. . وهكذا تكرر هذا المشهد فى معظم الفواصل بين الدرجات. . كان البعض ينجح، والبعض الأخر يرد على عقبيه، يلعق مرارة الإهانة.

امتـلاءت مدرجـاتى عن آخـرها. . وبدات عقارب الساعة تقترب من ساعة الصفر. وقبل البداية بربع ساعة بدأت الجماهير تزأر، وتشجع خاصة عندما بدأ أفراد الفـريقين ينزلون الملعب، لإجراء عملية التسخين. . وقد تصادف أن الفريقين قد خسرا مباراتهما فى الأسبوع الماضى. . وبدت الجماهير غاضبة، يخشى كل من مشجعى

الفريقين ـ أن تتكرر نتيجة المباراة؛ فيضيع الأمل فى الدورى خاصة. وأن الفارق بين الفاريقين ـ صاحبى موقعة اليوم ـ كما ذكرت ـ هو ثلاث نقاط فقط. .

وبعـد انتهاء التسخين عادا لغرفة الملابس، وما هى إلا دقائق حتى خرجا فى صفـين، وبينهما ثلاثة رجال يرتدون اللون الأسود: إنهم الحكام. . . لاأعرف لماذا اختاروا هذا اللون بالذات؟. نزل الجميع إلى الملعب الذى اهتز بالتصفيق، والهتاف، حيث اتجه كل فريق لجانب من الجمهور ليحييه بالتناوب مع الفريق الآخر ـ بينما التزم الحكام منتصف البساط الأخضر، ولا مانع من صور تذكارية حتى ينتهى اللاعبون من تحية جمهورهم.

بعـد إجـراء القـرعـة اختـار الفـريق الفـائـز نصف الملعب الـذى سيبدأ منه المباراة. . . . أخذت الكرة تتناقلها الأقدام والرؤوس والأيدى فى حماس منقطع النظير، فكل فريق يسعى للحصول على النقطتين، ومن أجلهما كل شىء يهون. .

بعد عشرين دقيقة من الكر، والفر، وضح أن هناك ندِّية كبيرة بين اللاعبين، وأن خطط المـدربـين كانت مدروسة؛ تماما فكل منهما قد درس بعناية إمكانات الفريق الآخـر، ونقاط القوة، والضعف فيه. . . لاتوجد أهداف؛ فدفاع الفريقين يقظ. . يغلق كل الثغـرات، وكأنه يحمل يافطة (ممنوع المرور) أوحارسا المرمى لديهما حنكة كبيرة، والجمهور فى المدرجات فى حالة يرثى لها من الانفعال. . والقلوب قد بلغت الحناجر. . النجيلة الخضراء ترتوى من عرق المخلصين من اللاعبين.

وفجأة يطلق الحكم صفارة قوية. . . لقد عرقل أحد مدافعى الفريق الأزرق مهاجم الفريق الأصفر. . وهو منفرد بالمرمى. . . الحكم يشير إلى نقطة الجزاء، معلنا ركلة جزاء على الفريق الأزرق الذى جرى حارس مرماه فى عصبية بالغة ناحية الحكم، وأخذ يجذبه، وقد شاركه الظهير الأيمن فى نفس الحركات الاعتراضية، وبعد ثوان قليلة كان الفريق الأزرق كله قد وصل إلى الحكم: البعض يشده من قميصه، والبعض الأخـر ينهـره، وبعضهم يلوح بيديه فى اتجـاه المـدرجـات، وكأنه يستنفر الجمهور، والجمهور لايحتاج إلى من يستثيره؛ فالثورة تسكن أعصابه ودماءه.

تسع دقائق مرت الآن، ولا يزال الحال على ما هو عليه ـ الحكم يصر على رأيه واللاعبون يصرون على الاعتراض، والإداريون يحاولون امتصاص غضبهم.

وفجـأة!! يحاول الـظهير الأيسر أن يوجه لكمة إلى وجه الحكم، وهو يوجه له

عبارات سباب متدنيه. وقبل أن تصل يده إلى وجه الحكم المسكين، استطاع أحد الإداريين الإمساك به وتطويق يديه، لكن الحكم لم يرض بذلك؛ فأخرج كارتا أحمر من جبيه، ورفعه عاليا، وأخذ يشير إلى الظهير الأيسر الذى أخذ هو الآخر، يحاول الهروب من قبضة الإدارى ليعتدى على الحكم.

الآن خسر الفريق ضربة الجزاء، وخروج أحد اللاعبين.

أخذ لاعبو الفريق الأزرق يهددون بالانسحاب، لكن الحكم لم يعبأ، وظل واقفا عند نقطة الجزاء ناظراً إلى ساعته، بما يعنى أحد أمرين: إنه يحتسب الوقت الضائع، أو أنه بعد مضى وقت معين سوف ينهى المباراة لصالح الفريق الآخر.

وعندما فقد لاعبو الفريق الأزرق الأمل فى تغيير موقف الحكم.. أخذ العقلاء منهم يدفعون زملاءهم بعيدا عن الحكم، وكذلك فعل إداريو الفريق..

وبدأ البساط الأخضر يخلو من الدخلاء ووقف حارس المرمى فى مرماه.. وظل مهاجم الفريق الأصفر يعدل الكرة ثم قذفها بقوة داخل المرمى وفى زاوية غير التى وقف فيها الحارس؛ إمعانا فى إذلاله.. وأصفر الملعب: الأعلام ارتفعت إلى أعلى، والأصوات أيضا.. (صلوا ع النبى).. (صلوا ع النبى) وعلى الجانب الآخر كان مشجعو الفريق الأزرق يصيحون فى غضب شديد.. «حكم يا...» وبالصدفة فقد كانت هذه الهتافات البذيئة ضد الحكم بالقرب من مذيع التليفزيون، الذى أخذ يجفف عرقه، وهو لا يدرى ماذا يفعل؟. فالمباراة هامة، وملايين البشر يجلسون أمام شاشات التليفزيون، بينهم: أنسات، وسيدات، وأطفال.

إن هذه الهتافات ضد الحكم أكثرها تهذيباً يخدش حياء هؤلاء..

استنجد المذيع بمهندس الصوت لخفض الصوت، لكن المشكلة أن خفض صوت الجمهور يعنى: اختفاء صوت المذيع، وهو التصرف الوحيد المتاح الذى استخدمه مهندس الصوت ـ لعدة دقائق.

لقد ألهب الهدف حماس الجمهور وزاد من نبرة التعصب، خاصة بعد أن أحضر الحارس الهمام الكرة من داخل مرماه، وقذف بها فى مدرجاتى، وظل يلوح بيديه ولايزال السباب بأقبح الألفاظ ينطلق تجاه الحكم، الذى وقف فى منتصف الملعب ينتظر وصول الكرة من المدرجات؛ حتى يبدأ اللعب.

فجأة.. تسلل شابان موتوران من المدرجات واستطاعا الدخول إلى البساط

الأخضر متجهين نحو الحكم - فى دائرة المنتصف - وعلى الفور جرى وراءهما رجال الشرطة.

وبدأت المهزلة تتسع حلقاتها: لقد انتهز الكثير من الجمهور المتعصب الفرصة؛ فنزلوا هم أيضا إلى البساط الأخضر. ومن ناحية أخرى نزل أفراد الشرطة بالهروات، والعصى، وآخرون قاموا بعمل كردون حول الحكم، ومساعديه، لمنع الاعتداء عليهم.. كان الحكم فى حالة ذهول كاملة.

وبعد عدة دقائق ومباحثات مع مراقب المباراة.. **أطلق الحكم صفارة طويلة معلنا إلغاء المباراة**... بينما أحاط به رجال الأمن - بمختلف الرتب - وهو خارج من الملعب.. **كانت حصيلة اليوم ٢٤ مصابا**: خمسة منهم، وهم يحاولون القفز من السور الخارجى بدون تذاكر، وثلاثة، وهم يقفزون السور الحديدى بين المدرجات، والباقون أصيبوا فى معركة محزنة نشبت بين جمهور الفريقين.

المؤسف حقا أن إصابات بالغة قد أصيب بها البعض **من قطع حجارة كان يحملها بعضهم**، وكأنهم قد جاءوا خصيصا، لاليستمتعوا باللعبة التى يحبونها؛ بل للدخول فى معركة بين بعضهم البعض.

انفضَّ المولد... وخرج كل من فى المدرجات، والبساط الأخضر بعد أن سيطرت الشرطة على الموقف، وخلوت لتأملاتى، فلقد امتلأت مدرجاتى **بزجاجات فارغة، كسر معظمها** - أثناء تبادل التراشق بين جمهور الفريقين -.. بل وألمح **قطرات دماء على** أحد مدرجاتى من جراء هذا القذف، وكثيرا من **الحجارة** متناثرة هنا وهناك، وكذا قشر البرتقال واليوسفى، وبقايا المسليات بجميع أنواعها، وأعقاب السجائر، وأوراق الصحف، وغيرها.. **منظر غير حضارى على الإطلاق**.. حتى بساطى الأخضر لم يسلم من هذه الأشياء سالفة الذكر.

يا إلهى.. ما هذه المخلوقات التى تسمى بشراً.. **أهؤلاء هم البشر الذين فضلهم الله بنعمة العقل، وبخصائص حرمنا منها نحن الجماد!؟ ما هذا السلوك الهمجى الذى** اتبعوه مع الحكم، الذى جاء ليحكم بينهم؟ وهو رجل معروف بحياده، وكفاءته، بل ونزاهته أيضاً، وهل لو كان قد حكم بضربة الجزاء هذه على الفريق الآخر، هل كان سيسلم من هذه الأفعال المتدنية؟. أو...؟

الآن عرفت السبب الذى من أجله ارتدى الحكم ومساعدوه اللون الأسود.. من

فوق لتحت. كل ملابسهم سوداء. . هل كان يعرف الحكم ماسيحدث له فارتدى هذه الملابس سلفا!!؟

تساءلت. . كيف سمح هؤلاء البشر لأنفسهم اجتياحى بهذا الأسلوب الهمجى؟ .

إنه الأسلوب نفسه الذى اجتاحت به إحدى الدول دولة جارة لها فاستباحت: أرضها، ومالها، وعرضها. . كل شىء.

ياإلهى. . هؤلاء البشر معتادون على هذا السلوك. . سواء كان المعتدى عليه دولة، أو ملعباً، أو حتى بيتاً لواحد من جنسهم؟. .
نعم إنهم اعتادوا على ذلك فقد شهدت ـ وخلال السنوات السبع التى عملت خلالها ـ كثيراً من هذه الأحداث . . **آه لو سمعتم العبارات البذيئة التى كان يطلقها** البعض من الجمهور للاعبين عندما يلتحم أحدهم مع لاعب من الفريق الآخر. . أو أن يقع أحدهم مدعيا الإصابة إذا طاشت منه بعض الكرات. .

أخذت أتساءل: ترى بماذا سيعاقب هؤلاء اللاعبون الذين أثاروا جمهورهم باعتراضهم، وتسببوا فى الكارثة؟ إيقاف مباراتين. . . أربع. . . خمس. . . **خصم مكافأة شهر . . . كل ذلك فى رأيى لايكفى**. . . لو كان الردع شديدا لفكر كل منهن مرات، ومرات قبل أن يرتكب حماقة الاعتراض على الحكم، ومحاولة الاعتداء عليه. . **ماذا يحدث لو أن لاعبا أو اثنين قد تم شطبهما نهائيا. .**؟ هل ستنتهى كرة القدم من على وجه الأرض؟ ماذا لو شطب ناد لمدة عام ولايشارك فى مسابقة الدورى أو الكأس عقابا له على سوء أخلاق لاعبيه وإدارييه؟ لو حدث هذا. . هل سنشاهد مثل هذه المهازل التى شهدتها؟

منذ أيام قلية كانت إحدى المباريات بين فريقين كبيرين. . الأبيض والأحمر. . أحضروا لهما حكما أجنبيا. . اقسم لكم أن حكم المأساة، التى تحدثت عنها سلفا، كان أكثر كفاءة منه.

لقد حفلت المباراة الأخيرة بستة أهداف: أربعة للأحمر، واثنين للأبيض. وكان من بين الأهداف ثلاث ضربات جزاء، لم يتجرأ أحد من اللاعبين على الاعتراض ولا التلويح، ولا حتى الاقتراب من الحكم. عندما رفع أحدهم يديه فى شبه اعتراض على

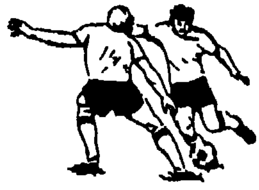
رمية تماس أعطيت للفريق الآخر، رغم أنها لمست قدم أحد لاعبيه . . عندما رفع اللاعب يديه لأعلى لينبه الحكم . . ذهب إليه الحكم ؛ وحذره فى عنف من عدم تكرار ذلك . . ماذا فعل اللاعب . . ؟ اقسم لكم إنه شبك يديه خلف ظهره وانحنى أمام الحكم الخواجة، معتذرا فى أدب جم . . ياإلهى . . لماذا إذن نحترم الخواجات حتى ولو ظلمونا ونعتدى على أبناء بلدنا، وهم يحكمون بالعدل؟

إن الحجارة التى حملها بعض الموتورين من الجمهور كانت تكفى لتصعيد ثورة الحجارة فى الأرض المحتلة، إن هى توفرت بهذا الكم الكبير.

كنت لاأزال أفكر فى مسألة: احترام الحكم الخواجه وإهانة الحكم المحلى . . وكنت اجتهد فى إيجاد مبرر لذلك حتى سمعت واحداً من بنى البشر يفسر ذلك لزميله فيقول له (زامر الحى لايطرب).

ما أعجب هؤلاء البشر . ما أقساهم على بعضهم البعض . . وما أكثر جنوحهم فى تعاملهم مع أكثر الأشياء تحضرا حولهم . . وهكذا تجدوننى أعانى . . فقد مرت على مباريات ومباريات . . سلبيات ونقائض . . أعيشها كل يوم وأتالم بسببها كل ساعة وأعانى من أجلها كل دقيقة . . كل ذلك وأنا لاأملك من أمر نفسى شيئا . . ولا أملك للبشر تبديلا . .

لكننى فقط أسجل: إن الرياضة . . حتى الرياضة لم تسلم من حماقة البشر، الذين أدعو الله لهم بالهداية .



يوميات باخــــرة



منــذ الأزل: ونحن جنس البـواخـر، والسفن، والمراكب، نؤدى للحضـارة وللإنسان أجلّ الخدمات، ونقوم بأعظم الأدوار، الأكثر تأثيرا فى مسيرة تقدمه . . ولعل سفينة نبى الله نوح شاهدة على دور هام، وحيوى كان الأجداد من جنسنا يقومون به منذ ذلك الزمن السحيق وحتى اليوم.

لعـلكـم أدركـتم أننى باخــرة . . ولكن يبقى أن أضيف . . أن تخصصى هو «السياحة» نعم. أنا باخرة سياحية . . لذلك فقد زينوا كل ركن فى جسدى . . وزودونى بكـل أدوات، ووسائل الراحة، والرفاهية . . غرف مجهزة بكل أدوات العصر: من ثلاجات، وتليفزيونات، ودائرة فيديو مغلقة، وغيرها، وغيرها . . وهناك أيضا قاعات الطعام، والديسكو، وحمام السباحة.

لقد اختاروا لى واحداً من أكبر وأعرق الأنهار . . نهر تُروى عنه الأساطير عبر التاريخ.

سمعتهم يقولون إن الأجداد من البشر كانوا يقدمون لهذا النهر العظيم كل عام «قربانا» . . هذا القربان هو أجمل الفتيات. يقدموها «وفاءً» لهذا النهر المعطاء، الذى كان حتى الماضى القريب ملهما للشعراء، والفنانين.

ولعل رائعة الشاعر على محمود طه، والعبقرى عبد الوهاب «النهر الخالد» شاهدة على مكانة هذا النهر لدى شريحة من بنى البشر يتسمون برهافة الحس ورقة الحاشية وتحضر السلوك.

ولكن أناساً آخرين من البشر لهم رأى آخر.

فمنذ أيام، وأثناء إحدى رحلاتى، أراد قائدى، أن يمتع ركابى بجمال الطبيعة، قرب ضفاف النهر، وفى منطقة رائعة، تميل فيها غصون الأشجار على صفحة المياه، فى عناق رقيق . . أراد قائدى أن يقترب من الضفة اليمنى للنهر، فأدار دفتى ناحيتها،

فاستجاب كيانى كله لهذا التوجيه . . وما هى إلا لحظات حتى شاهدت مالا يمكن وصفه . . أو تحمله . . أو السكوت عليه . . لقد جلست بعض النسوة على حافة النهر، وقد انهمكن فى غسل ملابسهن فى مياه النهر، وتفرغت واحده منهن فى تنظيف الآنية

النحاسية.. وفى جانب هذه اللوحة الرديئة، وقف طفل صغير يتبول فى مياه النهر. أقسم لكم أن كل هذا رأيته.. لم أره وحدى.. بل رآه معى - وبدهشة لاتخلو من الاستياء - الفوج السياحى، الذى وقف يتابع من فوق ظهرى هذا الجنوح الإنسانى الغريب.

وعلى بعد لايزيد على ثلاثمائة متر من هذه المهزلة التى سجلتها السطور السابقة.. كانت هناك مهزلة بل مهازل أخر. لقد شاهدت حيوانات نافقة، وقد ألقوا بها فى النهر.. ليس ذلك فحسب بل سيارات قديمة، وصفائح، ومخلفات من كل نوع، قد ألقيت فى هذا النهر المسكين.

لقد سمعت حواراً بين اثنين من السياح، عندما قال أحدهم للآخر: من أين يشرب هؤلاء القوم؟ رد زميله «من هذا النهر».

كيف إذن يلقون فيه بكل هذه القاذورات!!؟ كيف يسمحون لصغارهم بقضاء حاجتهم، وغسل ملابسهم فى مياهه؟!!

- رد زميله: بل قل كيف يلقون بهذه الحيوانات النافقة، والتى تسبب الأمراض الخطيرة.. إنه أمر عجيب.

أخذت أتأمل هذه الأسئلة وأرددها فى نفسى.. ماهذا العبث واللامبالاة.. وما هى إلا لحظات من هذا التساؤل المرير، حتى فوجئت بإحدى الزميلات القادمة من الجانب الآخر من النهر. ياهول ما أرى.. لقد شاهدت شريطاً من الزيت، الشحوم، يخرج من مؤخرة الباخرة، التى تسير فى الاتجاه المعاكس.

إنه أمر خطير. خطير للغاية.. ألا يكتفى هؤلاء البشر بإلقاء مخلفاتهم الشخصية، التى تلوث مياه النهر.. بل يفرغون مخلفات السفن، والبواخر، والقوارب أيضا.. وتساءلت مرة أخرى ما هو مصير الأسماك والأحياء المائية؟.. لابد أن الكثير منها قد هلك نتيجة هذا التلوث الشديد، والذى يحدثه البشر، يؤذون به ليس أنفسهم وأبناء جنسهم فحسب، بل والأحياء المائية التى أنعم الله بها عليهم.

بعد عدة ساعات: كنا قد تجازنا هذه المنطقة، التى تركزت فيها سلبيات، لو وزعت على أنهار العالم أجمع لأصابتها بالتلوث.

الآن.. دخلت مسيرتنا إلى منطقة رائعة.. ها هو قرص الشمس، وقد بدأ رحلة

العـودة إلى الأفق البعيد . . لاتزال خيوط من أشعتها الرقيقة الساحرة تعانق صفحة الماء . . وهناك على ضفتى النهر يتناثر النخيل ، والأشجار، وسط مساحات شاسعة من المزارع ، ذات اللون الأخضر بدرجاته المختلفة . . إنها لوحة رائعة من صنع الرحمن.

إن ما زاد هذه المنطقة جمالاً وروعة هو أن يد الإنسان لم تعبث بها . . لم تشوه جمالها الـطبيعى . . لم تطُلْهـا يد المهنـدسـين، وأصحاب شركات المقاولات، والمستثمرين ليقيمـوا فوقهـا البنـايات الشـاهقة . . ولا المنشآت المختلفة، التى تحمل كل أنواع العبث، والتى شاهدتها من قبل فى إحدى المناطق .

يالروعة ماأرى!! عناق الطبيعة مع عناصرها ومكوناتها . . لقد زاد هذه اللوحة الـربـانية روعة وجمالاً ذلك الهدوء الذى لف المكان، والذى لم يقطعه سوى صوت سيمفونية رائعة ، تعزفها الطيور وكأنها تعزف لحناً تودع به الشمس، لحظة رحيلها . . ولتواصل عزفها مرة أخرى عند قدوم القمر، بضوئه المنير، تزفه النجوم بلمعانها الأخاذ .

وفجأة تذهب الطيور إلى أعشاشها، ليسود صوت آخر لايقل روعة عن صوت سيمفـونية الـطيور، فى وداع الشمس، واستقبـال القمـر والنجـوم . . إنـه صوت الصمت . . ما أحـلى صوت الصمت!! نعم الصمت . . أكثـر من يحس بروعـة الصمت، ذلك الذى يعيش فى الضوضاء مثلى . . وما أكثر ما أعيشها .

وما أن بدأت أفيق من هذا التأمل اللذيذ، حتى بدأت اللوحة الجميلة يتسلل اليها الضوء . . إنه الفجر بسحره المميز . . بضوءه الساحر.

ألمح من بعيد واحدة من جنسنا . . إنها مركب شراعى . . إن مكانه فى هذه اللوحة يكمل روعتها . . فروعة الطبيعة تكمن فى بساطتها وهذا المركب الشراعى الذى أراه عن بعد، والذى يقف بالقرب منه قارب صغير يجعل للمكان سحراً خاصاً . . لكن ـ وآه من لكن هذه ـ حماقة بنى البشر، جعلتنى لا أكمل متعتى بكل ما حولى ، من روعة الطبيعة وجمالها .

فبعـد ساعـة تقـريبـاً من بزوغ ضوء الفجـر ومغادرة القمر والنجوم فى رحلتها اليومية . . فجـأة!! سمعت انفجاراً تحت سطح الماء . . انفجار أفزعنى، كما أفزع

الـركـاب على ظهـرى. . وعنـدما اقتربت أكثر من موقع الانفجار. . اكتشفت أمراً جللا. . كارثة بكل الأبعاد. .

إن عدداً من الحمقى، ومعدومى الضمير، من بنى البشر، أرادوا صيد الأسماك من النهر؛ فوضعوا شحنات من الديناميت فى الماء، وقامو بتفجيرها لتقتل الأسماك، وتطفوا فوق سطح الماء، فيجمعونها دون أن يتكبدوا أى مشقة. . أما النتيجة. . فلاتعنيهم. تلوث النهر والسمك. . لايهم. . كل ما يهمهم هو الرزق الحرام الذ يأتى بسهولة ودون عناء.

سمعت أن بعضهم يصطاد الأسماك بطريقة توصيل تيار كهربائى بالماء، فيمر السمـك علية فيصعق. . وهكـذا يحصلون على أسـماك قد صعقت. . غير عابئين بأخطار عديدة: للبشر، وللنهر، وللأحياء المائية على حد سواء.

مسكـين هذا النهـر. . شريان الحياة للبشر. . ومهد حضارتهم. . ينبوع الخير والنماء لهم. . لماذا إذن يتعاملون معه بهذه القسوة وهذا العبث والجنوح.

بعد كل هذه الهموم والأحزان التى تركت بصماتها على النهر الخالد، كما تركت فى نفسى كثيراً من مشاعر الألم، والأسى، لسلوك بنى البشر تجاه أكثر المخلوقات نفعاً لهم

بعد كل ذلك، رحت أتفرغ لتسجيل بعض مشاكلى الشخصية. . وهى تندرج أيضا تحت علامة الاستفهام الكبيرة، لسوء معاملة الإنسان مع الأدوات الحضارية التى تنعكس عليه بالنفع الكبير، والتى خلقت من أجل خدمته:

فقـد شهدت إحدى القاعات المخصصة للطعام. . هذا المطعم الكبير يعمل بطريقة «البوفيه» أى أن أنواعاً كثيرة من الأطعمة توضع على بوفيه كبير، ليختار كل راكب ما يحلو له من هذه الأنواع. . أكثر من عشرين نوعاً وضعت بأسلوب شيق؛ ليقف ركـابى فى صف واحـد. . ما هذا الذى أراه. . إن أحدهـم حمل واحداً من الأطباق المتراصة فى بداية البوفيه، وراح يضع فيه كمية كبيرة من كل نوع من أنواع الأطعمة الكثيرة بالبوفيه، حتى مُلِىءَ عن آخره، فذهب به إلى مقعده على «المائدة» مع أفراد عائلته، التى اصطف أفرادها وفعلوا ما يفعل كبيرهم!!. .

وضع الطبق على المائدة، وراح يقف فى الطابور من جديد؛ ليكمل ملء طبق آخـر بمزيد من أنواع الأطعمة: سمك لبن تمر هندى كما يقولون. . لحوم وأسماك

وسلطة، وغيرها كثير. . وهكذا فعل باقى أفراد الأسرة؛ فملئت المائدة بالأطباق، وبكميات كبيرة، وبدأ الجميع فى التهام ما فى الأطباق من مأكولات متنوعة. . وبعد قليل امتلأت البطون. . بل وصلت إلى حد التخمة، ولا تزال الأطباق ملأى بكميات كبيرة من المأكولات. . إن أحداً من أفراد هذه الأسرة ـ لم يأكل رغم كل ما أكل ـ ما يساوى ربع الكمية التى أحضرها من البوفية. . ومع ذلك قام كل منهم لإحضار الحلوى، والفواكه وبنفس الكميات الكبيرة التى أحضرها من المأكولات. . وعندما هموا لمغادرة مقاعدهم وكان عددهم خمسة أفراد. . كان لايزال على المائدة كميات من الطعام تكفى لأكثر من عشرين شخصاً.

وهنا، تمنيت أن أضرب الموج بمقدمتى. . وأن أهتز بعنف؛ فألقى بهولاء فى قاع النهر. . ما هذا الطمع، وعدم اللياقة!!؟ لماذا لم يأخذ كل منهم من الأطعمة ما يكفى حاجته، واذا احتاج للمزيد قام؛ فأحضر كمية إضافية؟

إنى ألاحظ أن البشر من بنى(يعرب) هم أكثر من يتحلون بهذه الصفة الذميمة وهذا السلوك الشائن.

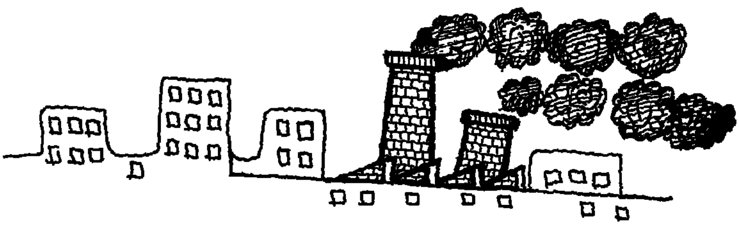
إن بشرا غيرهم يحضرون بقدر ما سيأكلون، فلا تكثر بقايا الطعام التى لايستفاد منها. . لاأعرف هل هناك علاقة بين هذا الذى يفعله هؤلاء العابثون وبين «الحرمان»، أم هو سوء سلوك طُبع عليه هؤلاء؟!!

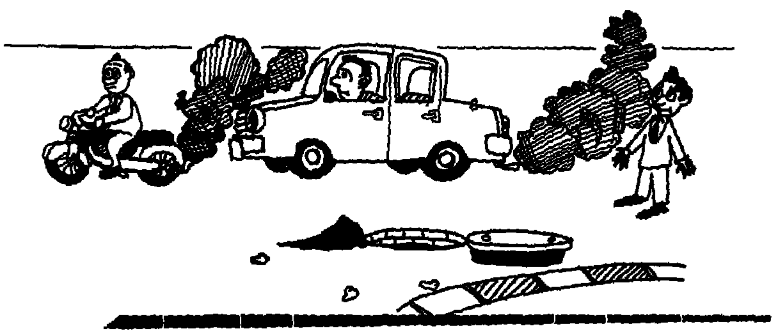
ها هو الشاطىء يقترب. . إنى مرهقة وأتوق للراحة. . إن إرهاقى وسأمى ليس من طول رحلتى. . ولكن من تلك الخطايا، والسلبيات، التى يرتكبها الإنسان مع أكثر الأشياء خدمة له. . هذا الإنسان ما أكفره.



يوميات شـــــارع


حافظوا
على نظافة
مدينتكم
النظافة
سمات الأمم
المتحضرة





لأعرف من بنى جنسى من الجماد، من يحمل ما أحمل، من الزحام والتزاحم.. من الحيوية والتنـاقض.. ففوق ساحتى تجتمع كل المخلوقات.. بشر.. جماد.. حيوان.. نبات.. كائنات لاتحصى، ولا تعد.. الغريب حقاً أن معظم المخلوقات التى تجتمع فوقى مسخرة لخدمة مخلوق واحد «الإنسان».

يا له من تكريم اختص به الخالق جل، وعلا، ذلك المخلوق المدلل!!. الآن أقدم لكم نفسى.. أنا شارع.. طويل عريض.. لكننى أنوء بما أحمل فوقى من جنوح، وآثام.. وما أشاهده من نقائص، وسلبيات، يأتى معظمها من بنى البشر.

عنـدمـا فكـرت فى تسجيل خواطـرى هذه.. تملكنى شعـور بالحيرة.. وكان السؤال.. من أين تكـون البـداية؟ وبعـد قليل، قفزة قضية «الإنسان والنظافة»، لتحتل موقع الصدارة فى تفكيرى. فَلَكَمْ تساءلتُ طويلاً - ولا أزال - عن سر العداء الأزلى بين الإنسان، والنظافة.. لقد ظلت علامات الاستفهام تكبر، وتكبر.. وعبثا وجـدت إجـابـة شافية.. لقـد شغلت هذه القضيـة كثيراً من عقـول الخـبراء، والمتخصصين.. لقد استحوذت على وقت الكثيرين، وهم يبحثون عن وسائل توقف عداء الإنسان للنظافة.. أقصد إنسان هذه المنطقة، التى أعيش فيها.. فقد ظل هؤلاء البشر على موقفهم من معاداة النظافة أجيالاً، بعد أجيال، حتى أصبح ذلك العداء، يمثل إحدى خصائص هؤلاء البشر، بكل ما يمثله هذا السلوك من معانٍ، وما يترتب عليه من آثار.

سوف أسجل فى يومياتى بعضا من الأمثلة، التى تدل على الجنوح الإنسانى:.

على أعمـدة الكهـربـاء المنتشرة على ضفتى، علقت سلال، خصصت لتلقى المخلفات..

كتب على تلك السلال عبارات، تدعو للمحافظة على نظافتى، باعتبارى جزءاً من المدينة الرائعة التى أنتمى إليها.. وبعضها حمل شعاراً يقول «النظافة حضارة» لكن هذه السلال ظلت تعانى الخواء، والتجاهل.. وكادت تنطق، وتصيح «نحن

هنا» وهى ترى كثيراً من البشر يمرون عليها،دون التفات، ويلقون على بعد خطوات منها، وفوق ساحتى الكثير من الأوراق، وأعقاب السجائر، وفوارغ العصائر، وغيرها وغيرها كثير . .

بل إن بعضهم قد بلغ به الاستهتار، وعدم اللياقة فأ خذ يبصق فوق وجهى، فى عدم اكتراث . . وها هو أحدهم، يحمل كيسا مملوءا بثمار الموز ، أخذ يلتهم الواحدة بعدالأخرى فى بلاهة، ويلقى القشر فوقى، وكم من الأطفال، والكبار من سار فوق بقايا هذه الثمار؛ فانزلق، وحدث له ما حدث من جروح، وكسور.

الآن وأنا أسجل هذه الخواطر قفزت إلى ذهنى معاناة أخرى . . إنها «التلوث» :

فعلى ساحتى تسير المركبات ، بكل أنواعها . . سيارات . . دراجات . . عربات كارو . . (باصات) النقل العام . . كل شىء . . وقد يبدو ذلك أمراً عادياً . . لكن الشىء المثير للألم والاستياء حقاً . . هو أن كثيراً من السيارات مصابة بمرض عضال فى محركاتها، وهو الأمر الذى يجعل سحابات الدخان تخرج من ماسورة فى مؤخرتها، وتشترك فى هذه المأساة أيضاً الدراجات البخارية . . وقد حزنت للغاية عندما قرأت مؤخرا تقريراً طبياً، يؤكد أن عوادم السيارات، والدراجات البخارية، والمصانع، تحمل مادة الرصاص ، التى تسبب أمراضاً عديدة ، أهمها التخلف العقلى، كما تصيب الإنسان بحالة عصبية .

مع ذلك فهؤلاء البشر لايبالون بترك السيارات تطلق سحابات الدخان، وينحصر اهتمام الشرطة بمراقبتها خلال أسبوع واحد فى السنة يسمونه «أسبوع المرور»

والتلوث لايقتصر فقط على الدخان والأتربة وغيرها بل هناك نوع آخر من التلوث لايهتم به بنو البشر، رغم خطره الشديد. . إنه التلوث بالضوضاء . . فهؤلاء البشر يعشقون الضوضاء، فترى سائقى السيارات يطلقون آلات التنبيه بدون مناسبة، خاصة فى ساعات الزحام ، إضافة إلى ما أسمعه من صخب من كل الأنواع : باعة جائلين، وميكروفونات، يستخدمها باعة «الروبابيكيا» ، وارتفاع أصوات أجهزة الراديو، والكاسيت ، وغير ذلك كثير.

أما سلوك البشر المعيب ، فحدث ولا حرج عن هؤلاء الشباب الذين ينزرعون على النواصى؛ يغازلون الفتيات دون حياء، متناسين أن لهم أعراضاً . . شقيقات،

وأمهات، وغداً، سيكون لهم زوجات. إننى أتساءل فى دهشة: مَنْ مِنْ هؤلاء يقبل أن يغازل أحدٌ أحداً من ذويه؟ إننى أخجل من سلوك هؤلاء البشر.

كثيرة هى علامات الاستفهام، التى لا أجد لها إجابات.. لكنى أكتفى فقط بتسجيلها فى يومياتى هذه: فأنا لا أفهم مثلاً، لماذا يترك المسئولون عن شئون المدينة - التى أمثل فيها شارعاً هاماً ورئيسياً - البعض يتصرف فىَّ كيفما يشاءون؟!! فقد أقام أصحاب المحلات التجارية على ضفتى فترينات، اغتالت مساحات كبيرة من رصيفى، المخصص لسير الناس.. فتجد فترينات لبيع شرائط الكاسيت، وأكشاك بيع السجائر، والحلوى... الخ.

وبالطبع فقد تضاءلت للغاية المساحة التى بقيت من الرصيف، خاصة إذا أخذنا فى الاعتبار السيارات التى صعدت فوق الرصيف.. وإزاء ذلك، يجد الناس أنفسهم مضطرين للسير تحت الرصيف، وتزداد معاناة السائقين لعدم وجود المساحة الكافية للسيارات، وسط زحام يحطم الأعصاب، ويصيب بالضجر. وبالطبع تعلو أصوات آلات التنبيه، كما تعلو صرخات الاستنكار من السائقين، والسائرين فوقى على السواء.

وفى زاوية منى يقع مقهى، لم يكتف صاحبه بمساحته الكبيرة فاستخدم الرصيف الذى وضع فيه المقاعد، والمناضد، ليساهم هو الآخر فى ازدحام الرصيف، وتضاؤل فرصة السائرين فوقه؛ وليساهم أيضاً بعض الجالسين فى مضايقة المارة من النساء؛ وليضفوا قدراً من التلوث الضوضائى..

وإذا كان ذلك بعضاً مما يحدث فوق الرصيف، فإن ما يحدث تحته لايقل سلبية.. فعدد السيارات التى تقف على الجانبين، تسبب اختناقاً كبيراً فوق ساحتى، وعلى الرغم من هذا الاختناق المرير، فهناك من يزيد المشكلة تعقيداً وهم نوع من البشر، اللامبالين الذين يتركون سياراتهم فى صف ثانٍ، إضافى، دون أى اكتراث، غير عابئين بالمخالفات التى يحررها رجال شرطة المرور.. وكثيراً ما يقعون فى مشكلة معقدة، عندما يأتى «الونش»؛ ليسحب تلك السيارات، ليذوق أصحابها عذابات كثيرة لاستلام سياراتهم من إدارة المرور.

لكنى ألتمس لهذه الفئة عذراً؛ فإن إصرار أصحاب القرار من البشر على تكديس المصالح الحكومية، والبنوك، وشركات الطيران، وغيرها من المرافق الهامة فى وسط

المدينة، مع عدم وجود عدد كاف من مواقف السيارات، يجعل ترك السيارات على النحو الـذى تحدثت عنه سلفاً أمراً اضطرارياً . . أنا لا أبرر لهؤلاء سلوكهم بترك سياراتهم فى وسط ساحتى . . لكنى أوجه لوماً أكبر إلى المسئولين عن تخطيط أقرانى من الشـوارع الرئيسية، وتكديس كل هذا العدد الهائل من النشآت، المرتبطة بمصالح الكثير من الناس فى مكان واحد.

ولأنى شارع طويل . . طويل جداً . . فإن العديد من النماذج البشرية تتنافس فوق ساحتى ، وعلى ضفتى ، وفى زواياىَ العديدة . . يتنافسون على الجنوح، والسلبية.

وهنا فى الجانب الهادىء فى كيانى . . ألمح مجموعة من الشباب فى سن المراهقة، وقد وضعوا عدداً من الحجارة على شكل عارضة لمرمى ، وراحوا يقذفون الكرة بين هذا الفريق وذاك، بينما و قف أحدهم يذيع المباراة على طريقة المرحوم الكابتن لطيف، فاختلط صوتـه بصـوت الـلاعبين، الذين ينادون على زملائهم طلبا للحصول على الكرة . . ومن وقت لآخر تزداد الأصوات ارتفاعاً وهى تصيح (جون) . .

لا أحد منهم يهتم بمراعاة شعور، وهدوء السكان، فربما كان من بيهم مريض، أو طالب يحتـاج للهدوء؛ لاستذكار دروسه أو غير ذلك من الحاجات التى تستلزم الهدوء . .

وإزاء هذه الظاهرة أجد نفسى أطرح سؤالاً: ترى هل العيب فى هؤلاء الشباب الذين يلعبون الكرة غير عابئين بالسكان . . أم العيب فى المسئولين عن الشباب الذين لا يهتمـون بإنشاء المزيد من الأندية، التى تستوعب هؤلاء وغيرهم، يبددون فيها طاقاتهم، ويقضون أوقات فراغهم؟!

منـذ أسبـوع . . وبينما الزحام يلفنى من كل جانب . . فوجئت بشاب طويل القـامة . . تبدو عليه علامات الصحة، ظل يسير وراء فتاة رائعة الجمال . . تعزف بقدميها فوق وجهى ألحاناً ذات إيقاعات جميلة، تبرز قوامها الرشيق، فى دلال، وأنوثة طاغية . . ظل الشاب يتابعها . . ظننتُ أول الأمر أنه معجب بها، وقد كانت حقاً مثيرة للإعجاب . .

اقترب الشاب منها رويداً رويداً، حتى أصبح يسير بجانبها تماماً . . وما هى إلا لحظات حتى انقض فى قسوة على يديها، وفى لمح البصر التقط حقيبة يدها ، وراح

يسابق الريح وسط صُراخ الفتاة. . حرامى. . حرامى. وأخذ المارة يصحيون هم أيضاً. . حرامى. . حرامى. . وراح البعض يضيق الخناق على الشاب الذى لم يجد وسيلة للهرب سوى عبورى إلى الضفة الأخرى. . وفجأة! ! صدمته سيارة، فارتفع فى الهواء، ثم هوى على سطحى ملطخاً بالدماء، التى انهمرت من رأسه بغزارة. . أسرع المارة، يلتفون حوله، لكنه قد أسلم الروح فى دقائق معدودة، وقد سقطت شنطة الفتاة بالقرب منه بعد أن تساقطت عليها قطرات من دمائه.

حزنت لذلك حزناً شديداً. . فعلى الرغم من أن القتيل لص. . نشال. . جبان. . لكنى حزنت. . فالشاب كان جميل المنظر. مفتول العضلات. . تبدو عليه كل علامات الصحة، والفحولة. . لماذا إذن لجأ إلى هذه الوسيلة الوضيعة لكسب رزقه. . لكنه الجنوح. . جنوح البشر، وانحرافهم.

لقد حزنت أيضاً لتلك الدموع، التى تساقطت على وجنتى الفتاة الجميلة. . فأنا أتأثر حينما أرى الجمال وقد كسته سحابات من الحزن.

لا أعتقد أن من بين المخلوقات، من يعانى من التجاهل ما هو أكثر من إشارات المرور، التى تنتشر فى الشوارع. . فكثير من سائقى السيارات لا ينظرون إليها، والبعض الآخر يتجاهلون الضوء الأحمر، ولا يعبئون بالشرطى، الذى يقف بالقرب منها، فنجدهم يمرون أثناء ظهور اللون الأحمر. .

وبعد منتصف الليل يكون التجاهل لتلك الإشارات كاملاً.

أما أكثر مايصيبنى بالغثيان: تلك الفئة الجديدة التى بدأت تنتشر فى معظم أشقائى، الشوارع الهامة مثلى. . إنها مهنة جديدة إسمها (المنادى) هذا المنادى لا ينادى على شىء. . هو فى العادة عاطل، يختار جزءاً هاماً من الشارع، يتظاهر بتنظيم إيقاف السيارات فى مساحات، احتجزها لحسابه، يبيعها عادة للسيارات الفاخرة. . العجيب فى الأمر، أن هذا المنادى غالبا ما لا يراه صاحب السيارة إلا عندما يبدأ فى الانصراف بسيارته، فتراه وقد حضر مسرعاً أمام صاحب السيارة، متظاهراً أنه يساعده فى الخروج من مكانه، وتوسيع الطريق أمامه؛ ليدس صاحب السيارة فى يديه النقود، التى يكدسها فى جيبه، والتى تبلغ قدراً، يفوق راتب وزير.

وهناك فئة أخرى: أشعر بدرجة كبيرة من الحنق والاشمئزاز منها: صبية يقفون فى منتصفى، وعند إشارات المرور، يقفزون أمام السيارات، يحملون قطعة قماش

قذرة، ودون استئذان ترى أحدهم يمسح فى زجاج السيارة الأمامى، وبعد قليل يمد يده لصاحب السيارة طالبا أتعابه.. لتجتمع فى جيبه فى نهاية اليوم ما يوازى راتب وكيل وزارة.

أما المتسولون فإن حكاياتهم تطول، وتطول.. إنهم فئة من الناس، ينتشرون فى العديد من الشوارع.. إن أكثر من عشرة متسولين يعملون فى مساحتى الممتدة، وبأشكال، وأساليب مختلفة.

بعضهم يجلس فوق الأرصفة، وقد ربط يده، أو قدمه، أو وضع عصابة على عينيه، بشكل يثير الاستياء قبل العطف، فالكل يعلم أن ذلك(المكياج) لا أساس له من الصحة، وأن هذا المتسول فى منتهى الصحة، واللياقة الصحية، وإن تخلت عنه اللياقة السلوكية.

وصنف آخر، من النساء، اللائى يحملن أطفالاً رضعاً، ويجْرُرْنَ أطفالاً آخرين، فى محاولة رخيصة، ودنيئة، لاستدرار العطف.

ونوع ثالث.. ترى رجلا مسناً، يقف فى منتصف الطريق، يظل يدق على زجاج السيارة، مطلقاً الدعوات، والتوسلات فى إصرار، حتى يخيل لصاحب السيارة الذى أغلق نافذتها، أنه سوف يكسر الزجاج، إذا لم يحصل على النقود.

نوع آخر من أنواع التسول، بدأ يزداد أعداد الذين يتبعونه هذه الأيام.. وهؤلاء يحملون وريقات، بها آيات قرآنية، يلقون بها فى السيارات ثم يعودون بعد قليل لتحصيل القيمة فى إلحاح مرير.

كثيرة هى الوسائل التى يتبعها هؤلاء المتسولون، الذين يجددون باستمرار وسائل خداعهم.

فهذه المرأة تقدم للمارة روشتة طبيب، وهى تتوسل لهم أن يساعدوها على شراء دواء.. إن ما جمعته منذ اتباع هذه الوسيلة يكفى لشراء صيدلية بأكملها..

أننى أرى الكثيرين من هؤلاء وقد امتلأت جيوبهم بالأموال، والعجيب أنهم يحرمون أنفسهم من هذه الأموال التى حصلوا عليها من ذل السؤال لهذا وذاك.. يرتدون نفس الملابس الرثة، وينامون فى أماكن قذرة، وكثيراً ما سمعنا عن ضياع ثروات هؤلاء فى ظروف مختلفة.

الآن. . أشعر أننى خففت كثيراً من همومى، ومتاعبى، فلحظات البوح تسقط الكثير من الإحساس بالأسى، والألم. . فقد سجلت بعضاً من السلبيات التى أعانى منها. . لكنى أسجل هنا اعتراضاً هاما.

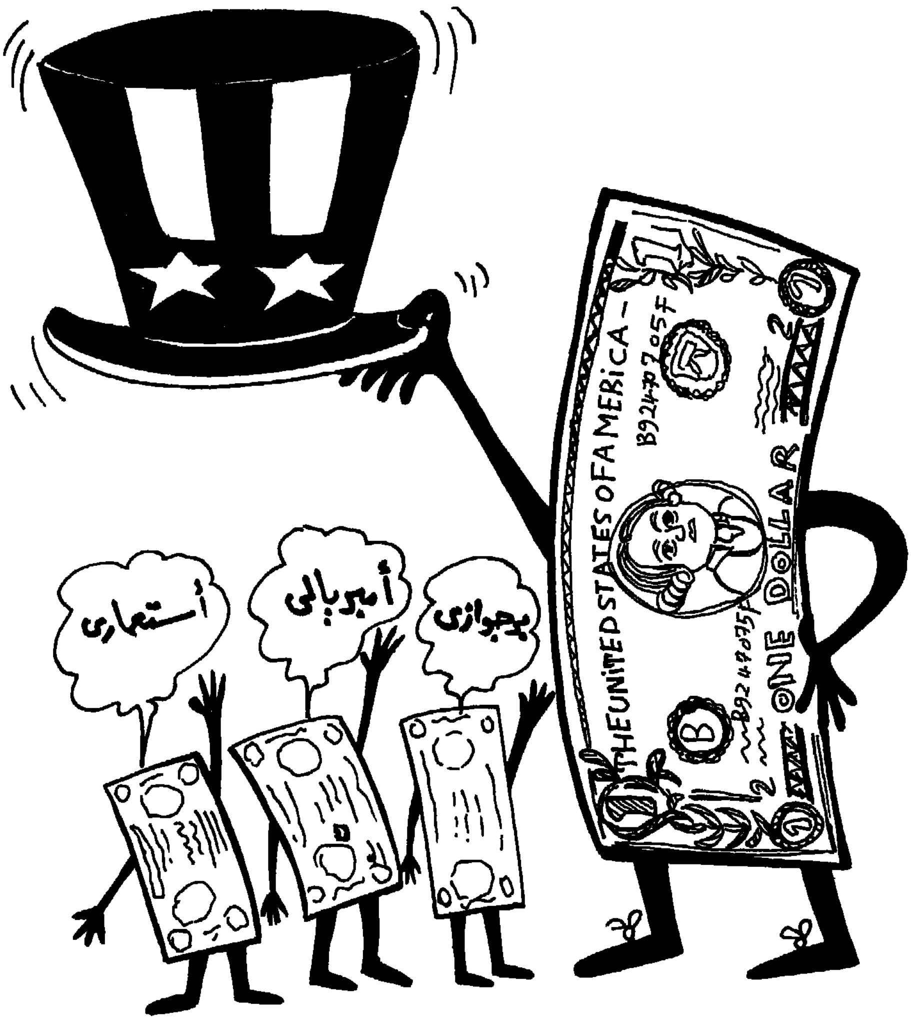
لقد عُرض فى إحدى دور السينما، التى فى زاوية منى. . عرض فيلم (اسمه) يثير حنقى، واستيائى. . الفيلم هو (أولاد الشوارع) . .

إن الفيلم يصور أولاد الشوارع بأنهم حثالة المجتمع. . أشقياء، مستهترون. وكثير من البشر عندما يريدون سب البعض منهم، يصفونهم بأنهم (أولاد شوارع). . ما هذا الظلم والتجنى؟.

إن العيب ليس فى الشوارع بالطبع. . لكن العيب. . كل العيب فى البشر أنفسهم.



يوميـــــات دولار


THE UNITED STATES OF AMERICA
ONE DOLLAR
برجوازى
أمبريالى
أستعمارى

لاأدرى . . هل أنا بحاجة للتعريف بنفسى ؟. . لاأظن أن هناك من بنى البشر من لايعرفنى أو يعرف أبناء عمومتى . . أما من لايعرفنا فإن الموت أولى بــه .

أنا الدولار . . نعم دولا آ آ آر . . على الرغم من أن المادة التى صنعت منها هى الورق الذى غطى بطبقة من الحبر الذى يميل لونه إلى الاخضرار . . وهذه المواد ليست أغلى أنواع المواد . . لكننى صاحب مهابـة ومكانه وحظوة لاتجارى بين سائر المخلوقات

إن أهم المخلوقات فـوق هذه الأرض ، وأكثرها رقيا وتحضراً يلهث فى دأب ؛ من أجـل الحصول علىَّ . . . يتصارع مع أقرانه من أجلى ، ويتسع الصراع ليشمل : الأمم ، والدول . . . العائلات، والأسر . . . الأخ ، وأخاه . . الابن وأباه . . وهكذا . .

هل عرفتم من أنا؟ أنا الدولار . . دولا آ آ آر . . من أجلى تُسبر الأغوار، وتُشق عباب البحار ، والأنهار ، وتُملاء جهنم بالأشرار ، ويُفسد فى الأرض كلُّ جبار . . من أجلى تكوى وجوه يومئذ بالنار . . . لولا رحمة من ربك الغفار . . . نعم . . أنا دولا آ آ آر،

موطنى الأصلى . . بلاد العم (سام) وما أدراك ما العم (سام) . . وأنا مثل أبناء موطنى من البشر لانعترف بغير القوة والأقوياء . .

بعض بنى البشر يطلقون علىَّ وعلى موطنى عبارات جوفاء لامعنى لها . . . . (إمبريالية) . . (برجوازية). أنا لا أفهم لغتهم هذه ولا أريد . . فهؤلاء أبناء العم آدم عندما يواجههم الفشل فى الحصول على شىء ما، فهم يلجأون إلى واحد من اثنين . . إما أن يقللوا من شأنه، أو يتهمون من يحصل عليه بعبارات غير مفهومة مثل (برجـوازية) . . (وامبريالية) وغيرها . . وهى كلمات كثيراً ماتأتى رياحها من بلدان يسمـونها: « الدول النايمة » . . «نايمة» ؟ . . لاأظن أن الاسم كذلك . . أظنهم يطلقون عليها: «الدول النامية» . . وهى عبارة جديدة لاأفهم لها معنىً ولاأريد! على الرغم من أننى لست أكبر أشقائى وأبناء عمومتى سناً لكننى أعلاهم شأنا . . فقـد

سمعت أن بنى البشر يقيِّمون أبناء جنسى من العملات بما تملكه من غطاء أى غطاء. . يقصدون؟ لا أفهم .

إن لى أشقاء وأبناء عم كثيرين جداً . . يصعب حصرهم . . أذكر منهم: مارك . . فرانك . . جلدر . . ين . . جنيه . . دينار . . درهم . . ريال . . روبل وغيرها . ولى أيضاً شقيقات منهن . . ليرة ، وروبية ، وبيزيتا . وغيرهن . لعلكم أسأتم الظن بى من تلك المقدمة الطويلة والتى قد تبدو أنها تتسم بالزهو والاعتزاز بالنفس . . أظن أن أبناء العم آدم يسمونها: (نرجسية) وإذا كان معنى هذه النرجسية هو الإعجاب بالذات فدعونى أعترف لكم أنها كذلك . .

إن الجماد لايخجل من الاعتراف بالحقيقة ، حتى لو لم تكن فى صالحه . . . إنه لايحاول إخفاءها مثل الإنسان . . الإنسان الذى لايعترف أبداً بعيوبه ، وإذا اضطر لذلك فإنه عادة مايقول لمحدثه: « أنا أصلى عندى عيب واحد . . هو الصراحة »!! نعم أنا معجب بنفسى . . أليست كل صراعات بنى البشر بكل ماآتاهم الله من عقل وحكمة وماخصهم به من مشاعر وأفئدة وغيرها من صفات وخصائص حرمت منها . . أليست كل هذه الصراعات من أجل الحصول علىَّ ؟ . . بل إن ذلك الإنسان كلما حصل على نصيب كبير من أشقائى وأبناء جنسى قال : هل من مزيد؟

بالأمس . . أصغيت إلى الراديو وهو يبث أنباء عجبت لها . . . **دولة عربية مسلمة اجتاحت جيوشها دولة عربية أخرى شقيقة . . مسلمة . . . جارة لها . . ياإلهى!** . . ألهذا الحد بلغ الغدر مداه ؟ قوات الدولة الغازية استحلت الأرض والعرض . . الممتلكات والمقدسات . . كل شىء . . كل شىء !!

إنه حقا أمر محزن لم أصدقه فى البداية حتى تكررت الأنباء من كل إذاعات الدنيا . . إنهم لم يكتفوا بكل مافعلوا ، بل إن الطامة الكبرى وهى التى تهمنى فى الأمر ، أنهم أصدروا قراراً أحمق بمساواة (الدينار الأكبر) الذى احتلوا وطنه بدينارهم الأصغر . **ساووا بينهما رغم أن الدينار الكبير يزيد فى قيمته ثلاثين مرة عن دينارهم الهزيل ، نتيجة للحروب ، والحماقات ، التى اعتادوا على ارتكابها** . . نحن الجماد نحترم مكانة كل منا ومكانه ، ولا نقبل المساواة فى غير عدل . . تساءلت فى مرارة . . وماذا فعل الدينار الأكبر فى هذه الكارثة . . أبلغونى أنه ثار وتمرد ورفض الانصياع للظلم . . وماذا حدث له ؟ . . قالوا : لقد أصدروا واحداً من قراراتهم العشوائية بإلغاء وجوده فى الحياة بأسرها . . نعم ألغوه .

لم أفهم مايقولونه فنحن الجما د لانعرف فى تاريخنا القريب والبعيد أن كياناً كاملاً يمكن إلغاؤه . . يارب لطفك . . وهنا ألحت علىَّ مجموعة من الخواطر والتساؤلات رحت أسجلها فى أجندتى اليومية . . **هل سمعتم من قبل أن دولاراً قد سطا على دولار ؟** أو أن دولاراً سطا ـ حتى ـ على جنيه ، أو روبل ؟ هل سمعتم يوما أن دولاراً أو ماركاً قد اغتصب ليرة، أو روبية ؟ . . ياله من عار نخجل منه نحن الجماد ولكن على مايبدو **فإن مثل هؤلاء البشر لا يخجلون . .**

استقر بى المقام فى الخزينة الكبرى بأحد البنوك . . دخلت إلى طقس دافىء حيث ظل ملايين الأشقاء وأبناء العم يتسامرون طوال الوقت . . يتحدث كل منهم عن دوره، ودورته قبل استقرارهم فى هذه الخزينة الدافئة . . كنت أسمعهم يتحدثون عن عجائب بنى البشر . حكايات وحكايات . . بعضها يبدو مسليا . . لكنه يحمل مرارة عميقة . والبعض الآخر يثير . يثير الغثيان . . بعد قليل . . فتح باب الخزينة الضخمة لأغادرها مع أشقاء كثيرين . . فرحت كثيرا لخروجى من الخزينة . . فعلى الرغم من هذا الطقس الداخلى بكل ما يحمل من دفء وحلاوة ومرارة وحكايات وسمر . . **إلا إننى لا أحب حياة الخزائن . . الظلمة والكسل يصيبانى بالاكتئاب . . أنا أحب حياة العمل . . الحركة . . لا أشعر مع العمل بأى إرهاق أو ملل . .** أنا نوع من الجماد قمة السعادة عندى عندما أعمل . . أؤدى دورى فى الحياة . . أساهم فى نموها وتطورها . . حتى لو كانت السعادة التى سأجلبها ستكون من نصيب الإنسان . . فلقد خلقت من أجله ، كما أراد الله تعالى أن يكون كل شىء فى خدمته .

لقد ساهمت أنا وأبناء جنسى فى العديد من المشروعات . . كانت دورتنا سريعة . . . سريعة جدا فى بعض البلدان، التى يتسم طقس معظمها بالبرودة، ولا أعرف هل هناك علاقة بين برودة الطقس وسرعة الحركة . . ربما . . هذه البلاد يطلقون عليها لفظ(متقدمة) ولا أعرف لماذا لا يعمل كل بنى البشر من أجل أن تصبح بلادهم متقدمة؟ .

العجيب فى الأمر أن الدول التى يطلقون عليها، تصنيف **العلم الثالث**: وهى تسمية لا أرضاها لنفسى، أو لأى من أبناء جنسى . . صحيح أن لكل منا وزنه، وقوته، وتأثيره، وهى مسألة مرتبطة بما يسميه البشر**(الغطاء الذى تملكه كل دولة هى لوغاريتمات بشرية لا أفهمها)**.

المهم . . أن هذا العالم الثالث . . . وهى دول طقسها حار . وأيضا لا أعرف هل

للطقس علاقة بسرعة الحياة وإيقاعها، بل وسرعة دورتنا نحن أيضا. . ربما لا زلت أتساءل: ما معنى عالم ثالث هل سمعتم يوما عن ليرة ثالثة، أو جنيه ثالث، أو روبية ثالثة؟.

ما أجمل عالم الجماد. . إنه يفهم ويقدر. أن لكل مخلوق دوره. . ويعى المعنى الجليل ﴿لا يسخر قوم من قوم﴾(1).

نعود إلى مسألة العالم الثالث هذه. . لا أعرف لماذا يصيبنا الكسل عند زيارة أى من أقطاره. . . تحدث عن هذه الظاهرة بعض الأشقاء ـ عندما كنا فى خزانة البنك ـ. . فبعضهم له تجارب كثيرة فى هذه البلدان ـ. قالوا: إن البشر الذين يعيشون فى هذه المناطق يضعون قوانين عقيمة ولوائح بالية من شأنها أن تقيد حركتنا وتحرمنا من دورتنا الطبيعية. . تعجبت لذلك وتساءلت: ولماذا يفعلون ذلك؟ اليست لديهم الرغبة فى تقدم بلادهم؟. . ألايحبون أوطانهم؟. . ضحك أحد الأشقاء من فئة الألف دولار. وقال: إنهم مصابون بمرض قديم جديد يسمونه: «بيروقراطية». قلت: وما هى هذه البيروقراطية؟. . أهى مثل الإمبريالية والبرجوازية والديكتاتورية. . ضحك دولار آخر مثقف قائلا: مالك أنت ومال هذه الكلمات الكبيرة.

أن البيروقراطية شىء مختلف. . إنها كلمة تعنى: التعقيدات المكتبية، أو الإدارية، ويسميها البعض من البشر: الانضباط الإدارى، وفريق ثالث يقول: إن قليلا منها يصلح المعدة ـ أقصد الإدارة ـ. أى أنها: لو استعملت بقدر محسوب ومناسب، فسوف تنضبط المعاملات دون أن تتعقد.

لا أعرف لماذا يعقد البشر الحياة من حولهم، وخاصة هؤلاء الذين يسكنون (العالم الثالث). هذا؟

سألت شقيقنا المثقف. . وماذا عن الحل. . العلاج. . المخرج؟

قال بأسى: لقد تركتهم منذ سنوات، وهم يشكلون لجانا، ويصدرون الفتاوى، والدراسات، ويقدمون الاقتراحات، والتنظيرات، من أجل علاج هذه المشكلة. إنهم يتحدثون عن علاج جديد اكتشفوه، يسمى الإصلاح الإدارى، والبعض كان يبالغ فيسميه: الثورة الإدارية، والبعض كتبوا عناوين أخرى وروشتات. . للقضاء على البيروقراطية. .

---

(1) الحجرات آية (11)

ويمضى شقيقى شارحا هذه القصة العجيبة فيقول: عندما عدت اليهم بعد سنوات وجدت هذه البيروقراطية قد كبرت . . زاد وزنها . . وبدت عليها كل علامات الصحة والحيوية . . واكتشفت: أن هذه البيروقراطية اللعينة قد تغذت على الشعارات . . فقد رفعها بنو البشر . أطلقوها دون أن يعملوا من أجلها.

عدت لتأملاتى بينما شقيقى لايزال يتحدث عن هذا العالم الثالث أو الرابع وعن هذه الدول النامية . . لا . . لا . . أى نامية . . إنها كما نطقتها فى المرة الأولى(دول نايمة) نعم نايمة.

مسكين هذا الإنسان . . ماذا يفعل بالعقل الذى وهبه الله له؟ . . لماذا لا يستخدم هذا السلاح؟ . . إننى حزين من أجله . . لكنه لا يعرف لغتنا نحن الجماد . . لو كان يفهم هذه اللغة لقلت له: إننا نحن - الجماد - مشفقون على هذا الغباء الإنسانى الكبير . .

إن ما تتبعه هذه الدول، ليس له أى علاقة بالقانون، والتنظيم . . إن القوانين، واللوائح لا بد وأن يكون لها صفة الثبات . . شبه الثبات لا أن تتغير كل يوم دون مبرر . .

إن التغيير فى النصوص يأتى عندما تتغير الظروف، أو لأسباب قهرية استجدت . .

إننى وأشقائى نبتعد على الفور؛ عندما نحس بأى قدر من عدم الاستقرار، سواء كان أمنيا، أو اقتصاديا . . أو على أى صعيد قد يؤثر سلبا فى طريق حركتنا، وانطلاقنا . . ليتهم يختارون من بينهم رجال أعمال، لهم تجاربهم ليساهموا مع الأكاديميين فى وضع اللوائح، والقوانين التى تنظم أعمال التجارة، والصناعة، والاستثمار، وغيرها من المجالات التى يملك روادها الكثير من أشقائى.

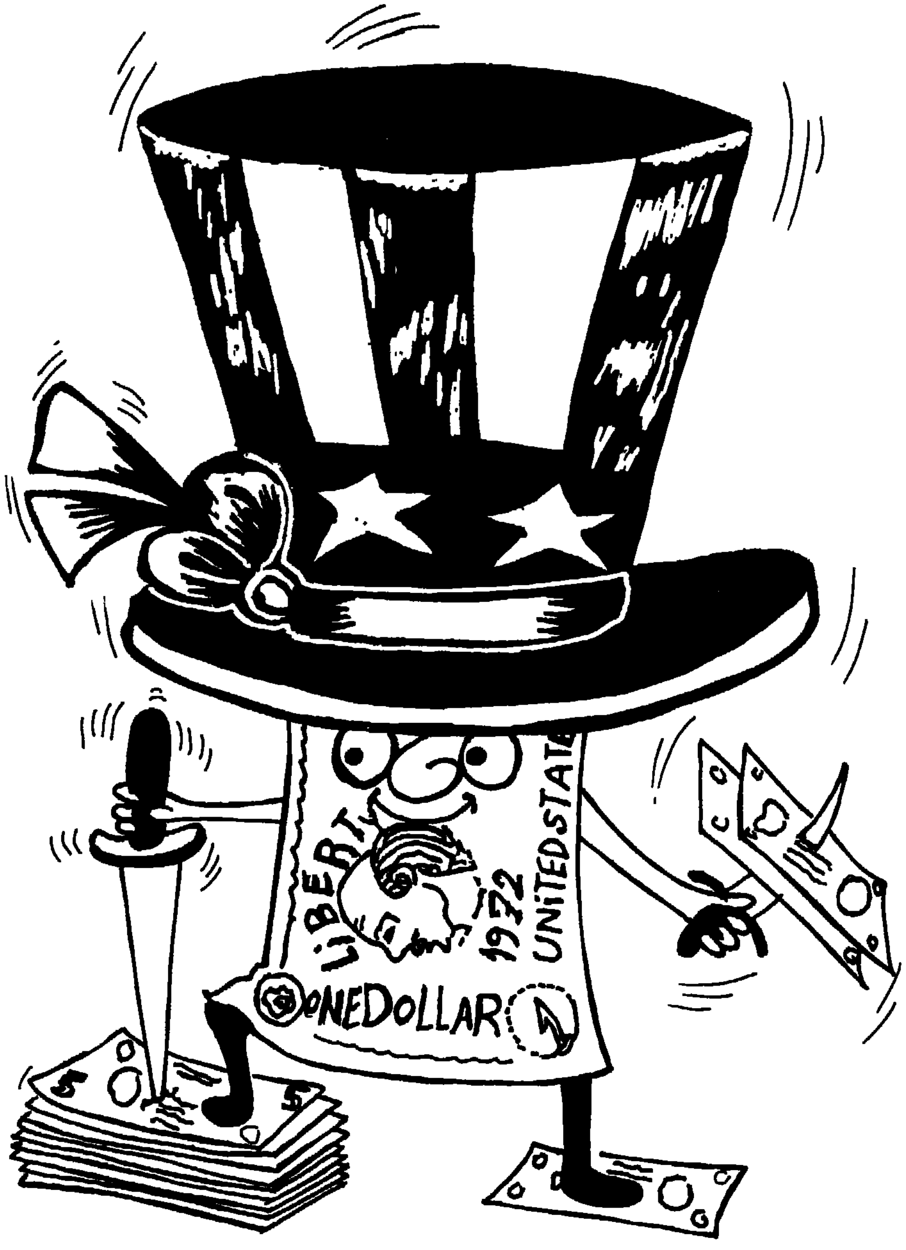
لعلى قد أسرفت فى هجومى على أبناء العم آدم . . خاصة من يقطنون منهم دولا تسمى (النايمة) إن هناك سببا لهذ الهجوم . . لعل أحداً لا يعرفه . . أننى أميل كثيراً للبشر الذين يسكنون العالم الثالث . . أحبهم . . أحبهم رغم كسلهم، وتواكلهم، وقوانينهم البالية، ولوائحهم العقيمة . . أنهم أناس طيبون . . شاعريون . . يمتلئون دفئا وإنسانية . . لا تتعجبوا من كلامى هذا . . فالجماد أيضا يحس . . لديه مشاعر قد تفوق الكثير من بنى الإنسان.

وحديثى عن اغتيال دولة لدولة جارتها الذى أشرت له سلفا، أكبر دليل على أنى أشعر وأحس.

كثيرة هى الأسئلة التى ألحت علىّ وأنا أتحدث عن هذه الدول النامية أو(النايمة) لا فرق.. كيف يصنف هؤلاء بالعالم الثالث ولديهم كل هذه الثروات الطبيعية والبشرية؟.. تلك الإمكانات التى قد لا تتوافر لدى الكثير من البلدان المصنفة: (بالمتقدمة).. ماذا صنع هؤلاء فى مواجهة اتفاق القوى العظمى وحالة الوفاق التى تعيشها؟ وفى مواجهة الوحدة الاقتصادية للدول الأوربية بعد سنتين فقط؟ ماذا.. وماذا.. أسئلة لا تنتهى..

الآن: وبعد أن سجلت كل هذه الخواطر.. هل ترانى قد أخطأت عندما ذكرت: أنهادول؟(نايمة) وإذا كان الاسم متوافقا مع الواقع.. يبقى السؤال.. متى تصحوا!!




LIBERT
1972
UNITEDSTATE
ONEDOLLAR

يوميات
راديو كاسيت


يابن أدم
أسمع كلام سعيد
وأصوات جميلة

كثيرة هى صرخات الألم التى يطلقها من حين لأخر أبناء جنسى من الجماد. . من كثرة ما يتعرضون من سوء معاملة البشر لهم، وتجاوزاتهم المستمرة معهم.

أمـا أنا فلى رأى آخر. فليس كل البشر شريرين. . ليسوا جميعاً همجيين غير متحضرين. . إن من بينهم علماء، ومفكرين، قدموا للبشرية وللحياة عصارة فكرهم وتجاربهم فأثروا الحياة بالرفاهية والتقدم.

ومن أجل هؤلاء أقول: إن فى آيات الله القول الفصل. . والحكمة البالغة. . وأتذكر هذه الكلمات المقدسة ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾[1].
وقد يتصور البعض من خلال هذه الكلمات أننى راض تماما عن سلوك البشر معى. . بالعكس، فإن الكثير من سلوكياتهم تدعو للحزن والأسى. .

نسيتُ أن أقول لكم من أنا. . أنا راديو. . أضافوا لى منذ بضع سنوات اسماً جديداً. . وخصائص جديدة. . فأصبح اسمى «راديو كاسيت».

ومادمنا نتحدث عن العلم والعلماء. . عن الصالحين من بنى البشر. عن هؤلاء الذين ضحوا براحتهم، ومتعهم الذاتية من أجل العلم والتطور.

فلنبدأ القصة من البداية: سنبدأ من عند محاولات جدى الأكبر (مذياع). ففى نهاية القرن الماضى. . قام عدد من كبار العلماء بالعديد من الأبحاث حول الموجات «الكهرومغناطيسية» لقد بدأ الفكرة عالم انجليزى يسمى (ماكسويل) كان ذلك فى

عام ١٨٩٠ إضافة إلى جهود مضنية، قام بها رجل آخر يدعى (إدوار برانلى) إلا أن الاسم الأكثر لمعانا، وشهرة كان من نصيب العبقرى (جوليمو ماركونى) حيث تمكن بعد كثير من التجارب من استخدام الموجات «الكهرومغناطيسية» المتداخلة فى كشف

الموجات التى تسمح بمرور التيار الذى يولد من البطارية. وبالتالى تم استخدام هذه الموجات فى نقل الإشارة إلى مسافات، بعد أن استخدم لهذا الغرض جهازاً يسمى: «ريجى» للذبذبة كجهاز للإسال.

---

(١) سورة فاطر آية: ١٨

ومع مرور السنين، وبعد مزيد من الأبحاث، والتجارب، ومع إصرار (ماركونى) على إرسال الأصوات، والموسيقى خلال الهواء.

وعندما جاء عام ١٩١٩، كان قد نجح فى إذاعة كلمات منطوقة بين إيرلندا وأمريكا.. ومنذ ذلك التاريخ، بدأت (**شركة ماركونى**) فى الإرسال الإذاعى.. وسرعان ما انتشرت الإذاعات العامة فى العديد من دول العالم.

كانت هذه باختصار شديد ملامح رحلة اختراعى، وهناك الكثير، والكثير جداً من التفاصيل، التى تعكس مدى الجهود الدؤوبة، والخلاقة، التى بذلها بنى البشر.

وإذا ابتعدنا قليلاً عن التفاصيل العلمية أقول: إن ميلاد جدى (مذياع) كان حدثا له أهميته الكبرى؛ حيث كان الكثيرون من البشر - وقتئذٍ - يلتفون حول جدى خلال ساعات الإرسال القليلة تلفهم الدهشة، والمتعة وهم يتابعون الأحاديث، والأغانى والبرامج، المختلفة... والبعض من البشر كان يستنكر وجود جدى مذياع؛ باعتباره رجسا من عمل الشيطان... حتى بدأت إذاعة القرآن الكريم، فهدأت ثورة هؤلاء، واستسلموا لنتاج العلم والعلماء.

أما سعداء الحظ، الذين كانت تسمح ظروفهم المادية لاقتناء جدى مذياع.. فقد كانوا عنوانا للثراء والارستقراطية.

ومع تطور الزمن. كان الآباء والأشقاء من أبناء جنسى من قوافل «الراديوهات» ... يشملها هى الأخرى نصيب كبير من التطور التكنولوجى حتى وصلنا منذ سنوات إلى عصر الترانزستور.

ومع ظهور الترانزستور... شاهدنا العجب؛ فقد أصبح أشقاؤنا «الترانزستور» **يقبعون فى ساعات اليد، وفى النظارات، وفى علب الكبريت، وغيرها، بل أصبح البعض منهم يعمل بأشعة الليزر.** ولم يقف التطور عند جنسنا فقط... بل شمل التطوير أيضا محطات الإذاعة والبث.. ومحطات التقوية والتقاط... بل والأقمار الصناعية.. هذه الوسائل التى جعلت البث يُلْتقط على بعد مئات، بل ألوف، وملايين الكيلو مترات.. وأصبح العالم بأسره يجتمع على ضفاف سماعاتنا.

ومنذ عدة سنوات، أضافوا لى، ولكثير من أشقائى، أجزاء جديدة، وشقوا فى جسدى جزءاً على شكل باب، يلقمونه قطعاً بلاستيكية تسمى: (**شريط كاسيت**)

نسبة إلى شريط ممغنط تسجل عليه مواد يمكن إعادتها فى التوقيت الذى يرغبه صاحبى.

على الرغم من أننى أداة التقط الإشارات التى تبثها محطات الإذاعة لتمر عبر جسدى إلى جزء يسمى «سماعة» تنقل الأصوات إلى آذان البشر وفق قانون خاص لا أود الخوض فى تفصيلاته.

على الرغم من أننى وأبناء جنسى مسلوبو الإرادة إلا أننا نتألم من للعديد من المواد التى تبث من خلالنـا. . فمنذ عدة أشهر نستمع إلى نشرات الأخبار، والتعليقات السياسة. . وكلها تدور حول موضوع واحد تقريبا.

صدقونى. . إنه على الرغم من تكرار الأخبار والتعليقات عن هذا الموضوع لكننى لاأستطيع استيعاب ما اسمع. . أو بعبارة أصح، مايبث عبرى.

الأخبار تقول: إن دولة عربيةِ مسلمة قد اجتاحت قطراً عربياً جاراً لها. . بلداً عربياً مسلماً أيضا!! لاأعرف معنى الاجتياح. . ويقولون أيضا أن البلد الغازى قد احتـل بالقـوة الغـاشمـة أراضى وأمـوال وممتلكـات جارته. . سرقةً. . اغتصاباً. . تعذيباً. . الخ.

أما التعليقات فمعظمها يدور حول معنى واحد. . «الاستنكار» ومطالب محدده تكـاد تجمـع عليها معظم دول العالم. . الانسحاب الكامل وغير مشروط. . عودة الشرعية للدولة المغتصبة.

أخذت أتساءل: كيف يمكن أن تغتصب دولةٌ شقيقةٌ لها وبهذه الوحشية؟. . كيف يمكن أن يحدث ذلك؟! لم أسمع مثل ذلك لدى سكان الغابات!. ولم أسمع أيضاً ذلك لدى مخلوقات أخرى. . عالم الحيوان والنبات مثلا.

يا إلهى ما هذا الـذى يبث عبرى. . أخبار مرعبة عن جنون حاكم هذا البلد الغـازى. . إنه يهدد باستخدام غازات سامة. . أنه أمر بشع؛ غازات سامة؟!. . يستخدِمها. . ضد من؟. أخشى أن تكون هذه من علامات يوم القيامة. . إن هذا الحاكم يتسم بالغرور والمناورة. . المراوغة والخداع. . يحتجز الرهائن من العديد من الدول. . نساءً وأطفالاً، ياإلهى. . ما هذا العبث الذى يقوم به هذا الرجل الذى فقد

عقله!! والذى يدخل فى صِدَام مع العالم بأسره. مستهتراً بما يسميه البشر «مبادىء القانون الدولى» بل مبادىء السلوك السوى. . . بل لكل المبادىء ومن كل نوع.

لأجد لدىَّ استعداداً فى استمرار سرد ما سمعته وهو يبث من خلالى.

لكن أكثر ما أصابنى بالاشمئزاز والضيق، هو ما حدث منذ أيام عندما أدار صاحبى مؤشرى بعناية فتجاوزت مواقع التشويش، **لأستمع بالصدفة لإذاعة بذيئة. . بذيئة للغاية.** . فقد كانت إذاعة هذا الرجل الذى فقد عقله. . بعد سماع فاصل من العبارات الهابطة والشتائم البذيئة لكل من يختلفون معه فى الرأى، وهم كثيرون. . **بدأت سخافات المغالطات التاريخية. . كلام فارغ عن حقوق تاريخية فى أراضى جارته المغتصبة. . تهديدات ووعيد. . استعراض مغرور للقوة. . أعقبها فكر مريض عن المساواة بين الأغنياء والفقراء.** . كدت أختنق من الكذب والادعاء، ولم تنقذنى سوى موجة تشويش ذهبت بهذه الأصوات المبحوحه الجانحة.

لكننى لأزال أشعر بالاستياء من صدى ما سمعته من جنوح. . وما هى إلا لحظات حتى ضغط صاحبى على أحد أزرارى فانفتح هذا الباب الموجود فى جسدى، ووضع فيه شريط كاسيت. . انساب صوت لهجته خليجية لكنه مفعم بالحزن والأسى فى كلمات انتفض لها جسدى. . (بيتى وبيقول بيته. . .)

ظل المطرب يردد فى أسى عبارات تنطق كلها بالأسى على الوطن المحتل. . . **وبعد أن دمعت عيناى للموقف. . . للكارثة.** . . لم يخرجنى من هذه الحالة المأساوية التى انعكست على ما يبدو على صاحبى. . لم يخرجنى من هذه المشاعر الأليمة غير شريط آخر،وضعه فى داخلى لينساب صوت الراحلة العظيمة أم كلثوم. . وهى تشدو برائعتها (الحب كده) وما أن وصلت إلى الجزء الذى تقول فيه (تشوفه يضحك وفى قلبه الأنين والنوح) حتى عادت الأحزان تسيطر علىَّ من جديد.

بالأمس أحضر أحد أصدقاء صاحبى مجموعة من شرائط الكاسيت ظل صاحبى يجربها على مدى ساعتين كاملتين. . يضع الشريط ثم يغيره بعد لحظات. . ماهذا الذى اسمعه من مجموعة مطربين يطلقون عليهم «الشباب». . أى شباب هذا الذى يردد كلمات لاطعم لها ولا معنى!!!؟ كلمات تحمل كل معانى (الهيافة) وقلة الذوق: (إيه الهس بس ده اللى ماشى يتك ده). . (أحمد حلمى أتجوز عايدة). . (أنا عايزة أتجوز ميكانيكى). . وغيرها من معانى الهبوط والابتذال.

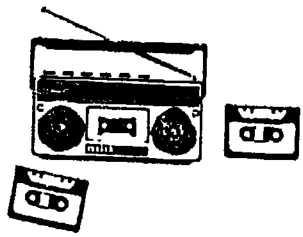
بعد أن استمع صاحبى لأجزاء من هذه الشرائط الهابطة . . قذف بها على الطاولة قائلا لصديقه : إيه ياراجل الكلام الفاضى ده . . . دا تهريج ولعب عيال . . رد صديقه : **(دى ياأستاذ أغانى العصر، مش الأغانى المنحطة اللى بتسمعها)** . على الفور أحضر صاحبى شريطا وعدما أداره انساب صوت العبقرى عبد الوهاب وهو يشدو برائعته (النهر الخالد) يالها من معانٍ راقية ، وموسيقى رائعة ، وأداء عظيم .

وهنا تساءلت فى نفسى : كيف يسمح مسئولو الرقابة على المصنفات الفنية بمرور ما يسمى بأغانى الشباب هذه بكل ما فيها من إسفاف رخيص يهبط بالذوق العام؟ . . وأصحاب هذه الأغانى يتعمدون الغناء ضمن موسيقى صاخبة ، وآلات نحاسية ويرفعون أصوات الفرقة ؛ حتى لايتضح سوء أصواتهم وضحالتها . . يخبطون بأقدامهم ويصفقون فى هيستريا ، فيتجاوب معهم المراهقون من الشباب فى صخب مقيت .

والغريب : أن شرائط هؤلاء الذين يسميهم البعض مطربين يباع منها بمئات الألوف بل إن أحدهم باع شريطه أكثر من مليون نسخة ، اتفاقا بالمبدأ الذى يطلقه أولاد البلد من البشر (رزق الهبل على المجانين) .

وفى نهاية يوم مزدحم بالبرامج النافعة ، والأغانى الراقية ، والموسيقى الرفيعة . . ومن ناحية آخرى كانت الأخبار ، والتعليقات السياسية بكل ما تحمل من مرارة وألم . . بعدأن اختفت أخبار وطن محتل منذ أكثر من أربعين عاماً ، لتطفو أخبار وطن احتل منذ بضعة أشهر . . ، وبعد إرهاق صخب أغانى ما يسمونهم شباباً ، بين هذا وذاك كان (ختامها مسك) . **وهذا المسك كان آيات بينات من آى الذكر الحكيم : كلمات تريح القلب وتنقى النفوس . . على أن أكثر ما آلمنى أن هؤلاء البشر لايتبعون ما أمرهم الله به حيث قال تعالى ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (1)**

صدق الله العظيم



(1) سورة الأعراف آية : ٢٠٤

يوميات باص



ـ ماتيجى أوصلك بدل تعب الباصات ـ



منذ ثلاث سنوات كان عيد ميلادى . . يوم أن خرجت من المصنع العملاق الذى جمع أجزائى التى جاءوا بها من عدة دول، تشتهر كل منها بصنع جزء معين . .

ومنذ أن خرجت مع أشقائى من هذا المصنع الكبير، حيث ذهبوا بنا إلى الفندق المخصص لإقامتنا، ويسمى(جراج) . منذ ذلك اليوم وأنا أعيش حياة مأساوية بكل الأبعاد . . تفاصيلها مؤلمة للغاية . . فكرت اليوم فى أن أسجل بعضاً منها، لعلنى أرتاح من هذا الهم الكبير الذى يثقل كاهلى، ويضغط على أعصابى، ويجعلنى أضيق بهذه الحياة .

منذ اليوم الأول الذى بدأت فيه رحلتى لأداء دورى، سلمونى عهدة إلى أحد الجلادين . . عفواً . . السائقين .

كان الرجل فى البداية سعيداً بى . . شعرت بذلك عندما أخذ يتفحص أجزائى يوم تسلمه لى . . أعترف أنه عاملنى برفق وعناية خلال الأسبوع الأول . . كم كنت سعيداً بالدور الذى أقوم به ! ! إننى أنقل الآلاف يومياً إلى مقار أعملهم، ومنازلهم، ولقضاء حوائجهم . . إن طبيعة ركابى من طبقات مقهورة . . رقيقة االحال، ورقيقة الحاشية أيضاً . . إنهم ينتظرون قدومى بلهفة وشغف . . أسمعهم عن بعد ينطقون عبارة تتكرر : (الحمد لله . . وصل) .

ولأن دوام الحال من المحال . . فإن هذه السعادة لم تستمر طويلا . . فالإنسان لم يتعود أن يعيش حالة حب دائم مع الجماد . . إنها مأساة . . أسبوع واحد عشته فى سعادة . . أسبوع واحد فى ثلاث سنوات متواصلة . . ولنبدأ من بعد أسبوع العسل الذى أمضيته وحظيت خلاله باهتمام السائق . . وأيضا الركاب .

مضى الأسبوع الأول . . وفى صباح أحد الأيام، جاء سائقى ، وقد بدت عليه علامات الضيق، والتزمر . . إنه يتثاءب وعلمت من حواره مع زميله (المحصل) أنه لم ينم البارحة ؛ لقد ظل طوال الليل مع رفاقه ـ وهم رفاق سوء حسبما فهمت ـ يتناولون

المخدرات ، ويتوهمون سعادة زائفة . لقد خرج هذا السائق المستهتر من ليلته الحمراء، التى شرح لزميله المحصل، تفاصيل، أخجل من ذكرها . . ثم جاء مباشرة ليقودنى، وهو فى هذه الحالة السيئة، من قلة النوم، وعدم التركيز.

أدار محركى ، وانطلق فى عدم اكتراث وهو لا يكاد يقوى على نقل عصا (الفتيس) مع تأخره فى عملية التبديل بين السرعات، غير عابىء بصراخ محركى، الذى استمر معظم ساعات هذا اليوم الحزين، الذى كبر هذا المحرك المسكين خلاله سنين وسنين

كنت أنظر إلى الركاب المزروعين على المحطات فى انتظار مرير. . أنظر إليهم فى شفقة، لم يعرفها قلب هذا السائق القاسى . . فقد كان يترك الركاب فى كثير من المحطات دون أن يوقفنى ، وقد أدار رقبته إلى الجانب الأيسر فى غير اهتمام ، بينما تتعالى أصوات الاستنكار من الركاب؛ فبعضهم يريد أن ينزل فى تلك المحطات التى يمر عليها سائقى دون توقف.

لمحت ابتسامة تشفّى تعلو شفتيه . . تعجبت جداً لذلك . . هل يتلذذ هذا الرجل بتعذيب أبناء جنسه؟ أهذه واحدة من النظريات التى تحدث عنها واحد من بنى البشر، أظن أن اسمه (سجموند فرويد)؟ هل يسقط هذا السائق القاسى كل آلامه، وشعوره بالاضطهاد، والقهر، على البؤساء من أبناء جنسه؟ ياإلهى ! ! ! إن هذا أمر بالغ العجب والدهشة . . لايزال صاحبنا يتجاهل عشرات البشر، الواقفين على المحطات، فى مواجهة شمس لاهبة، ورطوبة تضيق بها الصدور، يواجهها هؤلاء المساكين بأوراق الصحف، يضعونها تارة فوق رؤسهم وأخرى يستخدمونها مروحة.

ست ساعات كاملة كنت أشاهد فيها هذه المأساة، بل وأكثر من ذلك . . عشرات المرات التى تعرضت خلالها لحوادث؛ نتيجة عدم تركيز السائق، وتثاؤبه المستمر، ولولا ستر من الله، ورحمة لضعت أنا، ومن أحمل من الركاب الأبرياء، ولحدثت كارثة محققة.

فى نهاية هذا اليوم عدت إلى الفندق (الجراج) لأروى للأشقاء ما حدث من سائق، لا يرعى الله، ولا آدمية بني جنسه ـ فبادرنى شقيقى، الجار الأيمن قائلاً: إن ما تقوله وأكثر يحدث معنا يومياً. لكن السؤال: كيف تأخذنا نحن ـ الجماد ـ مشاعر الشفقة، والرحمة، تجاه بنى البشر، بينما هم لا يشعرون بمثل هذه المشاعر تجاه

بعضهم البعض؟ وأردف قائلاً: ياشقيقى . . هون عليك؛ فان هؤلاء البشر يتناسون كثيرا من سمو دينهم.

إن هؤلاء السائقين لو تذكروا المعنى الجليل ﴿من لا يرحم لا يُرحم﴾ ـآه لو فهموه ـ لكان وقوفهم على جميع المحطات يطول، حتى يتأكدوا من صعودالركاب ونزولهم، آخذينْ فى الاعتبار: النساء، والأطفال، وكبار السن منهم، ومن لديه مرض أو عاهة، أو غير ذلك.

يوم آخر لا أنساه . . وهو يوم جديد؛ سجل فيه الإنسان واحدة من حماقاته وعبثه.

بطل هذه الواقعة ليس السائق كما يعتقد البعض. . إنه واحد من الركاب .

فى أحد المقاعد الخلفية، جلس شاب يحمل جريدة، ويتظاهر أنه يتصفحها. . العجيب. . . أن هذا الشاب كان يخفى بالجريدة جريمة بشعة يرتكبها: فقد حمل فى يده اليمنى (شفرة) ظل يقطع بها جلد المقعد، منتهزاً فرصة أنه ركب من بداية الخط، وقد خلت كثير من المقاعد. . شق صدر المقعد، وجوانبه، وقام باستخراج أحشائه. . قطعة كبيرة من الإسفنج . . على مقربة منه كان يجلس واحد من أقرانه. . أصبت بدهشة عندما وجدته هو الآخر، يفعل نفس الشىء فى مقعد آخر. أخذ يسأله صديقه قائلا: (أنت تمام)، فيرد الثانى عليه: (آخر تمام) وقد فهمت من حديثهما بأن هذه الكلمات معناها أن الجريمة قد تمت. دس الشابان قطعتى الإسفنج فى حقيبة بلاستيكية، يحملانها، وغيرا مقعديهما، دون أن يراهما أحد؛ فقد كان المحصل منهمكاً فى حديث مع السائق، عن سهرة حمراء سهرها هو الآخر. ظل يقول له كلاماً ويشرح وقائع، ومواقف، لا تستحق سوى الخجل. . كان يصف له: كيف خدع زوجته، وخرج من المنزل، بحجة زيارة أحد زملائه؛ لفض نزاع بينه وبين زوجته، وأنه استطاع ـ بهذه الحيلة الخبيثة ـ أن يلتقى بإحدى الساقطات، فى منزل أحد الأصدقاء. هذه الواقعة الذى حضرها أكثر من صديق من أصدقاء السوء .

كان السائق فى غاية السعادة، وهو يستمع الى مبالغات زميله عن ليلة، كان فيها الفارس الوحيد من بين كل الحضور.

بدأ عدد الركاب يتزايد، والمحصل لايزال يروى قليل من الحقائق، وكثيراً جداً من الأكاذيب، بينما اكتفى السائق بتعليق واحد. . (يابختك ياعم).

قبـل أن يتسلل الشـابـان صاحبا جريمة شق المقاعد، واغتصاب الإسفنج، سمعتهما يقولان: (الآن نستطيع صنع أحلى كرة).

ياإلهى!! أمن أجـل صنع كرة يخربون المقاعد التى يجلس عليها الركاب؟ أى منطق هذا!!؟ بل أى عبث هذا!!؟ اللهم أسبغ علينا صبرا.

صعد الكثير من الركاب. . منهم من تسابق فى الجلوس، مستخدماً قوته وشبابه، على حساب بعض النساء وكبار السن. . ووقف الباقى، وبدأ الزحام يزداد. . العرق يتصبب من الجميع. . أم تحمـل طفـلاً رضيعا، وطفلاً آخر فى يديها، لا يتجاوز السـادسة. . وقفت المسكينة تنظر يميناً ويساراً لعل أحد الجلوس تأخذه النخوة فيتنـازل لها عن مقعده؛ رحمة بطفليها، وبها كامرأة. . لكن الجميع تظاهروا بأنهم ينظرون من النافذة، أو يطالعون الصحف. .

وقفت المرأة، وكانت شابة فى الثلاثينات من عمرها. . كانت جميلة حقا. . عودها ممشوق. . وأنوثتها طاغية. . لكنها كانت فقيرة على ما يبدو. . فان روادى فى العادة من الفقراء. . لم يتركها أبناء جنسها فيما هى فيه: زحام، وأطفال، وفقر. . طقس حار، ورطـوبـة، وأنفـاس مختلطة، وضجيج، ودخـان سجـائر، من كل صوب، يضاعف التوتر.

لم يتركـوهـا تواجه كل ذلك فقط. . بل إن هناك كثيراً من السفهاء، معدومى الضمير، والنخوة، يمارسون وسط هذا الزحام نوعاً قذراً من المضايقات للنساء، وما إن تقع أعينهم على امرأة جميلة، مثل هذه التى تحمل طفلها الرضيع، وأخاه، وسط هذا الجو المحموم، حتى تبدأ مضايقتهم لها دون رحمة أو ذوق. .

أخذت المرأة تتحرك يميناً ويساراً فى محيط لا يزيد عن النصف متر، فقد كان زحام الركاب كبيراً ولايكاد الفرد منهم يجد موقفاً لقدميه. . أظهرت المرأة ضيقها من ذلك الشاب، الذى اخترق الصفوف الزحام، وآثر أن يقف بالقرب منها. . ياله من نذل جبان!! فأنا لا أستطيع أن أصف لكم ما يصنع. . أنا فى غاية الخجل. . اعزرونى؛ فالكلمات تختنق فى حلقى.

من أجل ذلك بدأت فى الاحتجاج، عندما تقطعت بى الأنفاس، فتوقفت عن السير. لقد زاد مؤشر الحرارة ارتفاعا، ووصل الى العلامة الحمراء، وهو ما يعنى أن

السير بى يمثل خطورة عليَّ، وعلى الركاب أيضاً. . وهنا صاح السائق فى الركاب: انزلوا ياحضرات. . الأتوبيس عطل. . حدث هرج، ومرج، وأصوات، واستنكار وكلمات غاضبة، واحتجاج بكل الوسائل. . فسارع المحصل، يستطلع الأمر من السائق، الذى أطلعه على مؤشر الحرارة. . أقنع المحصل السائق بأن ينتظر قليلا ويفتح غطائى لبعض الوقت، حتى تنخفض حرارتى، وأنطلق من جديد ـ وظل يتوسل إليه قائلا: الناس غلابة. تأثرت بالموقف؛ فقررت أن أتحامل على نفسى؛ من أجل هؤلاء البؤساء. . ركابى.

بعد قليل أدار السائق محركى وانطلق. . لكن الشاب إياه لا يزال يرتكب حماقاته؛ حتى خرجت المرأة الجميلة عن هدوئها، وصرخت قائلة: (خلى عندك شوية دم. . انت مالكش اخوات). . قالتها المرأة، ثم بكت.

إن الجمال الطاهر حتى ولو كان فقيرا، لا يقبل أن يدنس.

تساقطت دموع المرأة على وجنتيها الجميلتين؛ فبللت خديها، اللذين كستهما حمرة الحزن؛ فبدت وكأنها لوحة رائعة لفنان مبدع.

آه لو كان العبقرى (فانجوخ) قد عاش حتى عصرنا هذا، وشاهدها. . لرسم لوحة خالدة وأسماها (ظلم الإنسان لأخيه الإنسان).

تظاهر الشاب بهدوء الأعصاب. . . وعندما بدت علامات الاستنكار، وتعليقات الركاب، مستنكرين سلوكه. . رد فى تبجح قائلاً (كل واحد يلزم حدوده، واللى مش عاجبه ينزل ياخذ تاكسى).

جاء المحصل من مقدمتى بسرعة، مخترقا الصفوف فى خبرة واضحة، ونسى ليلته الحمراء التى كان يشرح تفاصيلها لسائقى منذ قليل، وبدت عليه كل علامات الشهامة، والإقدام، ووجه كلامه للشاب المستهتر قائلا: (اذا مش عجبك انت تقف محترم اتفضل انزل)؟. . رد الشاب: (ده مش باص أبوك ده بتاع الحكومة).

وهكذا: تصاعد الموقف بين الشاب، الذى يبدو عليه أنه مدرب على مثل هذه المواقف؛ فقد كان يرد على الجميع ويردهم عن مهاجمته.

إن أكثر ما أدهشنى أن بعض الذين أخذوا ينهرون الشاب على فعلته، ظلوا جالسين على مقاعدهم، دون أن يتنازل أحدهم عنه لهذه السيدة الباكية.

عدت فى هذا اليوم حزينا مهموما، أتساءل فى نفسى؛ فقد خشيت أن أشرح لأشقائى ما حدث، فيزيدون عليه أحداثاً أكثر إيلاما، وأنا لا أحتمل سماع المزيد. تساءلت: هل فكر هذا الشاب المستهتر فى إخوته البنات؟ فهناك أمه، أو أبنة عمه، أو غيرها، ممن تربطه بهم رابطة دم. قد تضطر زوجته يوماً ما لركوب (باص)، وقد ينجب بناتاً.

إننى أسمع من البشر كلمات يقولونها، فيها الحكمة كلها، لكنهم على ما يبدو لا يعملون بها. . سمعت مرة أحدهم يقول: (كله سلف ودين).

ثم عدت أتـذكـر هذين الشابين اللذين مزقا مقعدين. . هل فكرا فيما يمثله عملهما من كل معانى الانحراف. . من أجل عمل كرة. . مزقا جزءا من كيانى. . تركاه غير صالح لاستعمال غيرهم.

ثم هذا الذى أخرج قلمه، وكتب على جزء من جسمى كلمة «للذكرى الخالدة: «حسب الله الهـبراوى» . . أى ذكرى يا هذا؟. . لماذا هذا التشويه الذى لا طائل منه!! ؟.

هذا يوم جديد. . ومعاناة جديدة. . كما ذكرت من قبل، فان تاريخ ميلادى هو يوم لا أنساه، قبل ثلاثة أعوام. . ثلاثة أعوام فقط. . رغم أن من ينظر لى، ربما قدر لى عمراً يزيد عن الثلاثة عشر عاما. . سمعت أن زملاءنا فى بلدان أخرى تظل تعمل سنين طويلة دون أن تصيبها الشيخوخة.

اليوم حضر سائقى، مع بداية ظهور خيوط الشمس آتية من الأفق البعيد. . إننى أحس بخمول عجيب، رغم أن هذا المنظر الجميل كان ينعشنى، ويشد من أزرى. . لكنى اليوم أشعر بآلام مبرحة: مفاصلى تئن. . يسمونها(مساعدين) أحشائى كلها تتـألم. . محركى غير قادر على حمل جسدى. .أنا اليوم أعانى من مرض عضال. . بطاريتى لا تقوى على منح الطاقة. . جاء السائق يحاول، ويحاول، لكننى كنت فى حالة غير عادية. . لم أتحرك من مكانى، على الرغم من محاولات دفعى للأمام بواسطة مجموعة من العمال، والسائقين.

ظل السائق يسب ويلعن اليوم الذى شاهدنى فيه. . وصفنى بأوصاف مريرة. . مثل(النحس) بل تطاول على والدى، وقال: «أصل ده أتوبيس ابن (. . .)». ظل

على حالته العصبية هذه، لكنى صممت على أن أذهب للطبيب. . لم أستطع حتى الذهاب اليه؛ فأتوا به إلىّ.

الـطبيب يسمى (ميكانيكى) أحضر حقيبة الكشف، وبدأ يمرعلى محتوياتى ذهب وجـاء بآخر من تخصص مختلف. . طبيب آخر، تبدو عليه علامات الخبرة سمعتهم ينادونه باسم (كهربائى) ظلا أكثر من ساعة، يتفحصان أجزائى، الواحد تلو الآخر، وأوصلا بينى وبين شقيقى، حتى يدور محركى.

وأتمّا الفحص. . ياللَهول. . اكتشف الطبيبان ـ ميكانيكى وكهربائى ـ قصوراً كبيراً فى الدورة الدموية. . بالإضافة لضعف عام، قالا: إنه مزمن، وعندما فحصا محركى، وجدوه يكاد يخلو من الدماء، أقصد الزيت وكذلك وجدا(الريداتير) يعانى من مرض، يسميه البشر(جفـاف)، وكذلك البطارية، التى فقدت جزءاً هاماً من حيويتها نتيجة عدم تزويدها بالمياه. . بعض الأجزاء سمعتهم يقولون: إن فيروساً خطيراً قد أصابها، ولا يصلح علاجه إلا بالاستئصال؛ إنه فيروس(الباروما).

ياإلهى. كل هذه الأمراض أعانى منها. . كيف كنت أسير إذن!!؟ كيف تحملت كل هذا!!؟ إن عمرى ثلاث سنوات فقط كيف استطاعت هذه الأمراض كلها أن تتسلل إلى جسدى، ومعظمها أمراض شيخوخة!!؟.

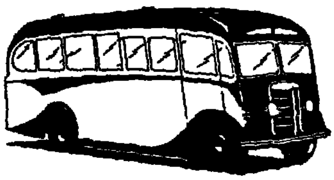
بينما أنا مزدحم بهذه التساؤلات، سمعت إجابة واحدة على كل تساؤلاتى. . هذه الإجابة اتفق عليها كل من الطبيبين. . (الميكانيكى) و (الكهربائى) : إنه سوء الصيانة.

قالوا ذلك بشجاعة لجلادى، المسمى سائق. . الذى أخذ ينكر ويدعى إننى تجاوزت عمرى الافتراضى. . أى افتراض يا رجل!!؟ هل يحال إلى المعاش(باص) عمره ٣ سنوات فقط!!؟ إنه الإهمال والتواكل وسوء الاستخدام.

الآن تنتابنى مشاعر متباينة. . فبينما أنا سعيد بأنى سأبتعد عن هذا السائق، المنعدم الضمـير، فربما جاءوا لى بسائق آخر أكثر رحمة وكفاءة من هذا الذى أضاع شبـابى، قبـل الأوان. . ربـما سلمـونى لغـيره، بعـد عمـل الجراحة التى يسمونها (عَمرة). . أو ربما يصلح هذا القاسى من أسلوب تعامله معى، بعد أن رأى نتائج إهماله. . . ربما يرتدع من الجزاء الذى سيوقع عليه حتما؛ بسبب سوء تعامله معى.

وفى نفس الوقت وجدتنى حزينا؛ لأن دورى سيتوقف، وفى توقفه مزيد من المعاناة لهؤلاء الواقفين، أو المنزرعين أمام المحطات، ينتظروننى فى لهفة، ورجاء.

لاشك أن توقفى عن عملى، سيزيد ساعات وقوفهم؛ وهو أمر يحزّ فى نفسى؛ فنحن - الجماد - نشعر بالإشفاق على الإنسان، ونتألم من أجله على الرغم من مواقفه السلبية تجاهنا. . وتجاهله لمشاعرنا ومطالبنا الحيوية. . لكننا - ودائما - نتفهم الأسباب التى جعلت بنى البشر أكثر تفضيلاً عنا نحن الجماد.



يوميات مطـــــار



لست أُبالـغ عنـدمـا أقـول: إننى واحـد من أكثـر أدوات العصر الحـديث أهمية ومكانة . . . فمن بين جنسى - بنى الجهاد - من تكمن أهميتهم: فى تيسير انتقال البشر من بلد إلى آخر، ومن قارة إلى أخرى، فيعم الخير على هذا البلد وذاك، ويتبادل البشر فيما بينهم المعرفة، وتتقارب الحضارات، وتمتزج . . . إلى آخر السبع فوائد التى يحققها السفر.

ولأن الطائرات هى أسرع وسائل السفر على الإطلاق - حتى الآن - وهى التى استحوذت على اهتمام بنى البشر من: مخترعين، وفنيين؛ لتطويرها، وزيادة سرعتها التى فاقت الآن سرعة الصوت، وأصبحت تعبر القارات فى ساعات معدودات . .

كما تفننوا فى إضافة كل وسائل الرفاهية، والراحة داخلها، بل تنافست شركات صنع الطائرات فى إضافة وسائل حديثة جداً، بحيث يستطيع الراكب - وهو جالس - أن يمد يده لظهر المقعد الذى أمامه ليتناول جهاز تليفون؛ يتحدث من خلاله إلى من يحب فى أى مكان فى العالم، بل يمكنه أن يراه أيضا على الشاشة الصغيرة الملحقة بالتليفون، بل يمكنه كذلك أن يرسل رسالة بجهاز (الفاكس) وهو فى الطائرة إلى أى مكان فى العالم.

مقاعد وثيرة يستطيع الراكب أن يحولها إلى سرير مريح بلمسة من زر بجانبه، وعندما يبدأ النوم فى مداعبة جفونه، فإن مضيفة حسناء تأتى على الفور؛ لتضع فوقه الغطاء حتى لايبرد.

أفلام فيديو مثيرة تعرض طوال الرحلة . . . سماعات مثبتة فى المقعد، يضعها الراكب فى أذنيه، ويدير قرصا مثبتا أيضاً فى المقعد؛ ليختار المادة التى يود أن يستمع إليها.

ياله من تدليل مبالغ فيه ينعم به هذا الإنسان . . . كل شىء بين يديه . . . . كل شىء فى هذا الكون يسعى إلى الإنسان، ليحقق له الرفاهية والراحة.

لعلكم اعتقـدتم من السطور الماضية: أننى (طائرة) لا . . . أنا أكبر من ذلك بكثير. . . بدونى لافائدة من وجود كل هذه الأساطيل من الطائرات.

هل عرفتم الآن من أنا؟ . أنا (مطار) مطار عملاق، يضم من المرافق والمنشآت ما تكلف الملايين. . وقد إستغرق انشائى سنوات وسنوات. . رغم أن العديد من تجهيزاتى هى : أرقى ما ابتكرته عقول البشر من أجهزة علمية متقدمة، وأعداد كبيرة منها تسمى (عقول الكترونية) : وهى أجهزة معقدة للغاية ودقيقة للغاية أيضا.

على الرغم من ذلك فأنا أعانى من هذه المخلوقات المسماة (بشر). . لاأعرف الأسباب الحقيقية لهواية العبث عندهم. . ولاأعرف لماذا عداؤهم المستحكم مع النظام؟ . كذلك لاأعرف ما هو الثأر الذى بينهم وبين النظافة؟ مشهد متكرر دائما. أحزن كثيراً لرؤيته.

ففى زاوية منى توجدٌ مجموعة من (الموازين) الكبيرة التى تزن أمتعة الركاب التى ستحملها الطائرات، وفى هذا المكان تكثر المساومات، وتتصاعد المناقشات، والجدل بين موظفى شركات الطيران، وبين كثير من الركاب الذين يحملون وزناً زائداً، وبكميات كبيرة، وفى نفس الوقت يرفضون تسديد القيمة.

والغريب حقا أن هؤلاء الركاب الذين يحملون الوزن الزائد والذى يصل فى بعض الأحيان إلى أكثر من مائة كيلو جرام لايهتمون بانتقاء مايحملونه. . . فتراهم يحملون أشياء تافهة لافائدة لها، وفى معظم الأحيان يحملون الأطعمة المختلفة، وكأنهم مسافرون إلى بلدان تعانى من الفاقة، والمجاعة.

أما التوسلات التى يقدمها المسافر للموظف المسئول فهى تفوق كل تصور. . . وبعد أن يترك ذلك الموظف عدة كيلو جرامات منحة مجانية للراكب، ،لكنه يصر على تحصيل الباقى، فإن الراكب يظل يطلق عبارات الاستنكار، والسباب لهذا الموظف الذى يؤدى واجبه. . ماذا يضر هؤلاء لو أنهم وفروا على أنفسهم ذل التوسل؟ واحتراق الاعصاب؟وضياع أموالهم؟ كل ذلك بإمكانهم أن يوفروه لو أنهم دققوا فى اختيار ما يحملونه بحيث يكون فى حدود الوزن، أو أن يزيد قليلا.

وفى زاوية آخرى. . وهو المكان الذى سبق دخول الراكب الى حيث يبدأ اجراءات سفره. . نجد الازدحام قد ملأ المكان. . **عشرات المودعين يلتفون حول المسافر وكأنه ذاهب إلى رحلته الأخيرة! . عشرات القبل تنهال على وجنتى المسافر. . . إن البعض من هؤلاء المودعين لاينسى، أن يوصى المسافر باحضار أشياء لو أحضرها لهم لملأ طائرة دون أن تسع مايطلبون، وفى هذا المكان تتساقط الدموع على الوجنات وفى**

المآقى . . . ، وكثيرا ماأسمع الأنين، والبكاء، وهى مشاعر انسانية ليس بوسعى أن أنتقدها أو أقترب منها.

ومـا أن ينتهى الركاب من إجراءات الجوزات والتفتيش، ويستقلون «الباص» الـذى يحملهم إلى موقـع الـطائـرة التى ستقلهم إلى وجهتهم. . هنـا أشـاهـد عجبـاً . زحاماً، وتزاحماً فوق درجات سلم الطائرة. . . الكثير من الركاب يريد أن يصعد أولاً، وكأنه يصعد إلى «باص»؟ فى أحد قطارات العالم الثالث. . . إننى أشعر بالدهشة والعجب. . . إن لكل راكب مقعداً محدداً يحمل كل منهم (كارت) صعود الطائرة المثبت عليه رقم المقعد المخصص له.

فلماذا إذن هذا الزحام، والتزاحم الذى يعكس صورة غير حضارية . ؟

واذا كانت هذه هى سلبيات صالة السفر فإن صالة الوصول تشهد الكثير من المفارقات المثيرة. . . فمنذ لحظة هبوط الطائرة على الممر المخصص، وقبل أن تستقر على الأرض. أرى الركاب قد وقفوا، وبدأوا من جديد يتسابقون نحو باب الطائرة رغم توسلات المضيفات لهم بالجلوس؛ حتى تقف الطائرة تماما، وتفتح الأبواب، ولكن لاحياة لمن تنادى. . وما أن يفتح الباب حتى يتدافعون نحو «الباص»، وقد حملوا فى أيديهم الثقيلَ من الحقـائب والأكياس وغـيرها. . ومرة أخرى يبدأ التدافع والزحام بمجرد وقوف «الباص»؛ حتى يظفر كل منهم بموقع متقدم فى طابور الجوازات.

وما أن ينتهى الراكب من ختم جوازه، حتى يهرع إلى السير الذى تمر عليه الحقائب.

يالها من فوضى كاملة تسود هذا المكان: البعض: يقفز فوق حقائب الآخرين. والبعض الآخر: يزيح أمتعة الآخرين. . المهم أن يصل الواحد منهم إلى حقائبه وبأى طريقة. . إنهم لايمتثلون لأية توجيهات من الموظفين المتخصصين بحمل الحقائب وترتيبها فى صفوف ليأتى كل راكب فيحمل حقائبه، ويضعها على العربة، ويذهب بها للجمارك. . إنه أحد صور عداء الإنسان للنظام.

الآن وصل الراكب إلى صالة الجمارك. ، وماأدراك ما الجمارك! . خمسة عشر موظفاً عليهم أن يفتشوا عشرات الطائرات ومئات الركاب الذين يحملون آلاف الحقائب. . . إن وظيفة الراكب المدونة فى جواز السفر، ومكانته الاجتماعية، ومظهره تكفى لتقرير

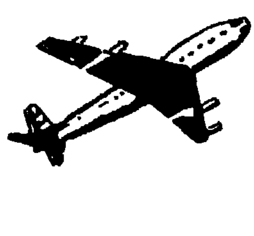
مصيره، أما هؤلاء الذين يقضون سنوات، وسنوات يعملون فى الخارج فإن حظهم العاثر ربما يسوقهم إلى كشاف، أو مأمور جمرك يعبث فى شنطهم، ويبعثر محتوياتها ويسجل فى سجل خاص محتوياتها، وعلى الراكب المسكين أن يدفع . . . ، وفى هذا المكان: حلّ من اثنين: إما الدفع، أو المصادرة!!

وكثيراً ما أشاهد هذه الصورة مقلوبة . . . حيث يكون رجل الجمارك مهذباً رحيماً، لكن الراكب لاضمير له . . فعندما يسأله قائلاً: (فيه مع سيادتك أجهزة؟) فيرد الراكب قائلا: (لا والله يابيه دول شوية ملابس وهدايا للأولاد).

لكن خبرة رجل الجمارك تجعله يختار إحدى الحقائب، ويطلب من الراكب فتحها، وتكون المفاجأة أن بدخلها فديو، وربما بعض الأجهزة الأخرى، ويقع الراكب فى حَيْصَ بَيْص، وهنا تضاعف عليه القيمة؛ فيظل يتوسل فى ذل . . . لكن رجل الجمارك هنا يتمسك بموقفه ردا على محاولة الراكب خداعه.

أما خارج أسوارى ـ وفى الساحة الكبرى أمام صالة الوصول ـ فهناك سائقو التاكسيات . . ومعظمهم من فئة لاترعى الله فى رزقها؛ فمنذ اللحظة الأولى لظهور الركاب تبدأ المساومة التى أسمعها، وأتألم لها؛ فعادة ما يقسم السائق أنه ينتظر أمامى منذ عدة أيام، وأن هذا الزبون هو أول زبون . . . ويظل يغالى فى طلب الأجرة . . . بل، والأكثر من ذلك أن سائق التاكسى يظل طوال الطريق يشكو الحال، والأحوال وارتفاع الأسعار، ولا يخجل من أن يقول للراكب: (ولع بقى يابيه . . . ورينا سجاير بلاد بره).

وهكذا فأنا أرى الكثير والكثير . . فى عالم فقد كل القيم والمثاليات . . عالم انتشر فيه الغش والكذب والابتزاز . . . كثر فيه بنو البشر:



يوميات ميكرفــون


انتخبوني
فيلا وعربية لكل مواطن
ماتصدقوهوش
دا كداب
ومنافق

منذ أن نقلت من المصنع الذى شهد مولدى، وتجميع أجزائى ، إلى تلك المراحل التى تم خلالها نقلى من بلد المنشأ إلى بلد الاستخدام، حيث الوكيل المحترم، الذى يقوم باستيراد أنواع مختلفة من أبناء جنسى، من الأجهزة المتطورة . .

منذ ذلك الوقت الذى اشترانى أحد متعهدى إقامة « السرادقات » بجميع أنواعها . وأنا أشعر بالأسى ، والحزن لما ألاقيه، وما ينقل من خلالى ، وما أشاهده وأحس به من عبث بنى البشر بكل ما يمثله ذلك من جنوح . .

أنا « ميكروفون » جهاز صغير، الحجم عظيم الفائدة . . لن أتحدث عن ظروف، وطبيعة صناعتى . . لأنها بحق، عمل عبقرى شديد الدقة ، وكثير التفاصيل . . لكنى سأستعرض فى عجالة جانباً من رحلة العذاب التى أعيشها كل يوم تقريباً . . سأسجل هنا ثلاثة أيام فقط . . ثلاثة أيام كان استخدامى خلالها يحمل كل أشكال ، ومعانى التناقض . .

ولنبدأ باليوم الأول :

فى المساء جاء رجل يطلب من صاحبى (**متعهد الاحتفالات**) أن يجهزنى لليوم التالى مع مجموعة أجهزة الصوت الأخرى، التى يوصلون بينى ، وبينها لتكتمل الدائرة . . ، أو ليكتمل الدور . . ، وبالفعل أخذونا جميعاً ، وذهبوا بنا إلى سرادق ضخم لمرشح ثرى، سوف يخطب فى جماهير الناخبين من أنصاره ، وأبناء دائرته والذين سيدفعون أصواتهم ثمناً لوصول المرشح الوجيه إلى عضوية (**البرلمان**) . . **وما أدارك ما البرلمان !!**

فى المساء بدأ أبناء الدائرة يتوافدون فى مجموعات ، ويجلسون على المقاعد فى صفوف ، وما هى إلا ساعة حتى سمعت أصوات ضجيج ، تأتى من بعيد ، ورويداً رويداً بدأت تقترب من السرادق ، **وتعالت الهتافات بحياة المرشح الهمام الذى أحاطوه بألقاب تنافس المهيب الركن إياه** . . **وفى زفة كبيرة دخل المرشح إلى السرادق ، وسط التهليل من جوقته ، أو كما يسميهم أولاد البلد من البشر : (كدابين الزفة)** . .

بعد قليل قام أحد الهتيفة، وأمسكنى بعنف، وأخذ يصيح : الآن . . يتحدث

إلـيكم . . مرشحكم الهُـمام . . الـذى يُحبكم لدرجـة الهيام . . ، ومن أجلكم لا ينام . . ، والذى سيحقق لكم الأحلام . . سواء بالحرب ، أو بالسلام . . اليكم يتحدث أحلى كلام .

وقف المرشح ، وتناولنى وسط التهليل ، وبدأ يتحدث عن برنامجه الطموح ، الذى من أجل تحقيقه سوف يتحمل كل المشاق . . مشاكل الإسكان فى الدائرة سوف تختفى . . شقة لكل شاب . . ستنتهى مشاكل التموين ، والمواصلات ، والصرف الصحى ، وغيرها ، وغيرها . . كل شىء سيتغير . . مرت خمسون دقيقة . . ولا يزال الرجل يقضى على المشاكل ، الواحدة ، تلو الأخرى ، بكلمات معسولة ، لا تخلوا من السجع ، والحماسة . . أما جماعات الهتيفة من أنصاره ، فهى لا تزال تهتف ، دون أن تشعر بأى ملل ، أو تعب ، أو حياء .

لم أستـطع احتـمال هذه الـوصلة الـرديئـة من الكـذب ، والنفـاق ، والانتهازية . . فأصدرت صفيراً متقطعاً ، ساهم فى أن ينهى هذا المرشح المنافق خطبته العصماء . . ، وهنا ظننت أن عذابى سوف ينتهى . . لكن هذه الحالة استمرت حيث تبادلنى مجموعة من أنصاره من المنافقين (وكدابين الزفة) أخذ كل منهم يتسابق فى إلصاق مزيد من الفضائل ، والخصال التى هى بريئة من هذا المرشح براءة الذئب من دم ابن يعقوب . .

وبعـد ساعتـين كاملتـين ، أحسستُ خلالهـا بالإرهاق ، والأسى . . بدأت مسرحية سخيفة . . حيث بدأ بعض الحضور ، ووفقاً لترتيب مسبق فى توجيه أسئلة للمرشح ، الذى سبق له أن لقنهم تلك الأسئلة ، وبالطبع فقد استعد للإجابة عنها بشكل يلهب حماس أبناء الدائرة ويخدر أعصابهم . .

ما أقسى هؤلاء البشر ؛ إنهم يتـاجـرون بمشـاعـر بنى جنسهم ، ويستغلون آلامهم ، ويستفيدون من معاناتهم . . ، وبعد أن مرت ساعات أربع ، كنت خلالها وسيلة لنقل أكاذيب ، ونفاق . . ، وكثير من سلبيات نوع ردىء من البشر . . انفض هذا السيرك البشرى المسمى (مؤتمر انتخابى) وحُمِلْتُ ، ومن معى من الأجهزة لنعودَ إلى المخزن ، . وقد لفنى حنق شديد ، وألم أشد .

وفى الصباح كانت البشرى . .

واليوم وفى المساء ، سوف أكون قاسماً مشتركاً فى حفل عرس كبير سيقام أعلى بناية

فى أحد الأحياء . . وبالفعل جاء من يحملنى إلى موقع الحفل ، وقد دهشت للغاية عندما شاهدت هذا المكان . . آلاف من مصابيح الإضاءة القوية، وقد ربط بينها بأحبال عُلقِّت فى واجهة البناية ، وفى العديد من الحوائط، فتحول المكان إلى ساحة من الضوء . .

وهنا تساءلت : ما هذا العبث ؟ لقد أذيع عبر أشقاء كثيرين لى يعملون لدى وسائل الإعلام المختلفة . . إذاعة . . تليفزيون . . الخ . . أخبار وتحليلات وآراء لفنيين وخبراء يؤكدون :

إن الطاقة الكهربائية تعانى من الإسراف الكبير ، ويهدد تناقصها، وارتفاع تكلفة توليدها من إرهاق كبير، قد يسبب استمرار استنزافها إلى حلول كارثة فى السنوات القادمة . . لماذا إذن يصر هؤلاء البشر على هذا الإسراف المقيت فى تبديد الطاقة الكهربائية ، التى هى واحدة من أهم مقومات الحياة فى العصر الحديث ؟ ناهيك عن الإسراف المادى فى تسديد فواتير الكهرباء، نتيجة الاستهلاك العشوائى **ولا أعرف لماذا لم يستجيب هؤلاء البشر لحملات التوعية المستمرة لترشيد الاستهلاك فى العديد من المجالات التى يتسبب إسرافهم فى استهلاكها فى كوارث للأجيال القادمة** ؟ ، وربما لحقهم هم أيضا نصيب كبير من المعاناة . . الآن دعنا من هذه التساؤلات المريرة ، ولأسجل سطوراً من هذا العرس الكبير بعد توصيل الأسلاك المثبتة برأسى بأجهزة أخرى ، وظيفتها : تكملة تجهيزى، مثل السماعات ، وجهاز تضخيم الصوت (الامبليفاير) وغيرها . .

ظل الفنى يجرب الصوت أكثر من نصف ساعة : (آلو . . آلو . . وأحد اثنين ثلاثة)

وبعدها بساعات بدأ المدعوون فى الحضور ، ثم تبعتهم مجموعة أخرى سمعتهم يطلقون عليهم : (الفرقة) علمتُ فيما بعد : أن هؤلاء هم الفنانون الذين سيحيون الحفل ، ويجلبون البسمة ، ويرسمون الفرحة على الوجوه ، والأفئدة . . . هكذا كنت أعتقد . . لكن الذى حدث شىء مختلف تماماً . . . فما أن بدأ هؤلاء فى تقديم عرضهم، حتى أصبت بما يسميه البشر (اكتئاب) ما هذا الذى يفعله هؤلاء الذين يطلقون عليهم. . فرقة. . أى فرقة هذه؟!

إنهم مجموعة من العازفين . . آسف (العابثين) يطلقون من آلاتهم، وإيقاعاتهم

نغـمات بالية ، ومن حين لآخـر يوقفـون العـزف فجـأة عنـدمـا يلوح لهم أحد من (المعازيم) حاملاً ورقة نقدية لتحية العروسين ، والكثير من المدعوين ؛ فيصعد فوق خشبـة المسرح قائـلا : (الفـرح . . العريس، وأهل العريس وأنا وأنت. . سلام مربع) وفى كل كلمة يرددها، يرد أحد أفراد هذه الجوقة ويسمى : (المطيباتى) يردد نفس كلماته (الفرح . . العريس، وأهل العريس، وأنا وأنت . . سلام مربع) .

وأنا ليس لى أى اعتراض على هذا العبث . . بل ليس لى اعتراض أيضا على الأصـوات المبحـوحـة ، والـرديئة ، ولا على النغمات النشاز ، ولست أتحدث عن الكلمات الهابطة جداً التى يتغنى بها مطرب هذه الفرقة ، أو الجوقة . . فأنا لا أتدخل فى أذواق هؤلاء البشر . . لكنى فقط أتعجب من ولع الكثير من بنى البشر بالصوت العالى . العالى جدا . . ففى مثل هذه الأفراح والليالى الملاح، يحلو لهم أن يرفعوا أصوات مكبرات الصوت التى تلتصق بأسلاكى ، وبالطبع فإن لأفراد الفرقة مبرراتهم القوية، ولا أقول الموضوعية فى ارتفاع الصوت ، حيث يخفى الصوت العالى عيوب وضعف مطربى هذه الأيام . .

ولكن السؤال هو : ما ذنب الجيران ؟ فقد يكون بينهم مريض يحتاج إلى الراحة ، أو طلاب يحتاجون إلى الهدوء، لاستذكار دروسهم ، أو غير ذلك من الأسباب التى يصبح هذا الضجيج الذى يستمر لساعات طويلة عبئاً على الآخرين، ومصدراً لانزعاجهم .

أمـا الـراقصـة الفـاتنة التى أراها وقد ارتدت ما يسمونه بدلة رقص إذا جُمعت مساحتها ما اقتربت من مساحة «ورقة التوت» . . إنها تتمايل يميناً ويساراً وتظل تتحرك فى كل اتجاه ، وتحرك كل المواقع ؛ وتتفنن فى إثارة غرائز المدعوين ، وقد مالت ببعضهـم الـرؤوس؛ من فرط ما احتسـوا من مسكرات . . . ، وكثيراً ما حدثت مشادات ، ومعارك ، ذهبت ببهجة الأفراح إلى المستشفيات ، وأقسام الشرطة . .

وفى زاوية من المكان . . . أشاهد مجموعة أخرى من الشباب يتجمعون ، وقد تصـاعـدت سحـابـات الـدخـان الأزرق . . سيجـارة واحـدة تدور على عدد من الشباب . . كل منهم يسحب نفسا عميقا ثم يناولها لجاره ، وقد سبقتها عبارة (مساء الخير) يقولها وهو فى حالة يرثى لها من عدم التوازن ، ووسط كل هذا العبث يظل العروسان منزرعين على مقعدهما ، ولسان حالهما يقول . . متى تنتهى هذه المهزلة ، التى

تضم كل معانى ومظاهر الإسراف ؟ فى المال، واستهلاك الكهرباء ؟ بل وفى الضوضاء أيضا ؟

لكن أحداً لا يدرى بما يدور فى خلد العروسين، أو لدى العقلاء من البشر، وهم قلة فى مثل هذه المناسبات . .

فلقد قاد حب التظاهر إلى العديد من السلبيات التى تشهدها حفلات العرس، على كافة المستويات ، فقراء ، وأغنياء على حد سواء .

ومع الساعات الأولى من اليوم التالى، يقترب هذه المهزلة من نهايتها فيبدأ هؤلاء البشر فى الانصراف على مجموعات، وكذلك العريس المسكين الذى يصطحب عروسه، وقد أنهكتهما أحداث هذا العرس ، ومن قبلها مصروفات هذه الليلة ، وتكلفة إقامة عش الزوجية، وهناك مزيد من الجهد ينتظرهما بعد قليل . . وإلى هنا لا أستطيع أن أكتب المزيد .

اليوم التالى مباشرة كان موعدى مع دور جديد ، ولكن فى ظروف مختلفة تماماً . . هذا اليوم هو موعدى مع سرادق عزاء . . فقد نقلنى مجموعة من العمال ، والفنيين إلى سرادق ضخم . . كل شىء حولى يوحى بأن المرحوم من ذوى الأهمية ، والسلطان . . كل ذلك طبعاً قبل أن تصعد روحه إلى بارئها . . أما الأن فهو لا حول له ، ولا قوة . . اصطفت المقاعد الوثيرة ، والمذهبة ، وبعد صلاة العشاء اصطفت مجموعة من أقارب الفقيد فى مدخل السرادق استعداداً، لاستقبال المعزين . . لقد ارتدوا جميعاً ملابس أنيقة للغاية . . انتابتنى دهشة كبيرة عندما شاهدت وفود المعزين ، وقد أخذوا يقبلون أهل المرحوم . . تساءلت : **لماذا يعبر هؤلاء البشر عن عزائهم بهذه القبل الحارة، التى هى وسيلة من وسائل التهنئة لديهم أيضا ؟ !**

بدأ الوافدون للسرادق فى الجلوس على المقاعد ، وبدأت عملية تشغيلى فقد اقترب منى قارىء شهير كانوا يسمونه فى الماضى : (صييت)، إنه يحصل على آلاف الجنيهات مقابل تلاوة كلمات الله بالمشاركة مع زميل له . . سمعت بعض الموجودين يشير اليهما على أنهما فى مقرئى الإذاعة . . للحق أقول إن صوت كل منهما جميل حقاً . . يالها من كلمات حلوة تلك التى يجودانها، تحمل الحكمة والموعظة الحسنة . .

لكن هؤلاء البشر يجلسون دون أن يستمعوا إليها ، وينصتوا لعلهم يرحمون . .

فبعد أن انطلق صوت المقرىء يرتل آيات القرآن الكريم . . بدأ عدد من الناس يتحدثون فى شئون الدنيا: ! صفقات تجارية . . الأحداث السياسية . . الغيبة والنميمة . . . شئون وشجون، كل ذلك، ولا يزال القرآن يتلى .

إن ذلك لم يكن السبب الوحيد لحنقى واستيائى . . بل إنى سمعت فى زاوية من الركن الأقصى بنهاية السرادق أصوات نقاشٍ بدأت بالهمس ، وتصاعدت حتى كادت تتحول إلى معركة بالأيدى . . ياهول ما أسمع وأرى . . إن هؤلاء يتحدثون عن تركة (المرحوم) لقد بدأ الصراع بينهم مبكراً . . بل مبكراً جداً .

وهنا توقفت قليلاً؛ لأتأمل، وتساءلت : لماذا يشقى الإنسان ويكد ويصارع من أجل الحصول على مزيد من المال، يتركه لورثته ، فإذا كانوا صالحين انفقوه فى الخير؛ فنالوا ثوابه ، وزادت حسناتهم . . وبذلك يكون المتوفى قد شقى من أجل الحصول على مال استفاد به غيره ، وإذا كان الوارث غير صالح ؛ فإن ذلك المال يزيده فساداً ، وطغياناً، ويقوده إلى جهنم ، وبئس القرار، وبذلك يكون من صارع من أجل المال، وأكتنزه، ثم تركه بعد وفاته . . يكون قد أضر به غيره . . آه . . ما أشقى الإنسان بماله حيا أو ميتا . . ومن هنا تبرز ميزة الاعتدال . .

نعود إلى السرادق الذى ضم مجموعة من المتناقضات ولا أقول البشر . . فقد كدت أن أتوقف عن العمل عندما شاهدت مشهداً مثير للغاية . . بل هو نموذج للجنوح الإنسانى بكل أشكاله . .

لقد شاهدت شخصاً يحمل كاميرا فيديو وبجواره من يساعده فى توجيه كشاف الإضاءة إلى الوجوه، الواحد تلو الآخر ؛ ليلتقط صورهم، ثم يعود إلى باب السرادق؛ ليصور أبرز أفراد أسرة الفقيد ، وهم يستقبلون كبار المعزين . . إنهم قوم لا يستحون . . كيف يأتون بمثل هذا العمل المشين وفى مثل هذه المناسبة ؟!!

ألم أقل من قبل أن الرغبة فى التظاهر عند الكثير من البشر تقودهم إلى درك أسفل من الجنوح والتردى .



كتب للمؤلف

* رحلة السندباد فى أعماق الجماد :

الناشر ـ المركز العربى للإعلام ـ الكويت

* الديمقراطيـــة والانتخابـــات :

الناشر ـ دار المعارف ـ كتاب أكتوبر

* نجوم الصحافة شهود على العصر :

الناشر ـ أخبـــار اليـــوم

* عنـدما ينطـق الجمـاد :

الناشر ـ دار الصفوة للطباعة والنشر ـ الغردقة

* دليل مصر السياحى (جزءان) :

الناشر ـ دار السياسة ـ الكويت

فهرس الكتاب

الموضوع	الصفحة

رقم الإيداع بدار الكتب ٢٠٦٣/ ١٩٩١
رقم الإيداع الدولى .I.S.B.N
977 - 5147 -06 -9



هـذا الكتـاب

معالجة القضايا السياسية ، والاجتماعية ، والسلوكية : أمر بالغ الصعوبة .

ومحاولة عرضها فى أسلوب مقبـول ، وتوجيه مستساغ : أمـر هـو ـ كذلك ـ صعب التّناول ، شديد المراس .

ولذلك . نحا الفلاسفة والمفكرون ـ منذ القدم ـ مسلك الرمزية عند العرض ، وأسلوب القصة فى التناول .. والاعتداد بضرب المثال ...

بل إن القرآن الكريم ـ ذاته ـ وهو المعجز لجميع الخلق ، والهدى النبـوى الذى تميـز بجـوامع الكلم : قد أخذا منهج القصة ، وضرب المثل : طريقاً بيِّناً للدعوة ، والهداية ، والتوجيه .

وكتابنا الذى نعرضه اليوم لقرائنا الكرام :

أنموذج جديد فى معالجة قضايا الحياة المعاصرة ، سبر فيه كاتبه القـديـر ـ وهـو غنى عن التعـريف ـ أعمـاق الحيـاة فى واقع أدوات يستعملها الإنسان فى حياته اليومية .

وكأنها تحكى ما تشاهده من التناقض، وتروى ماتفتقده من القيم .. وتبكى ما تنـوء به من أعبـاء الانحـرافـات : القِيَمِيَّـة ، والسلوكية ، والاجتماعية ، بأسلوب سهل ، وعرض شيق ، ومنهج جذاب .

وهـو بهـذا يضـع يد القـارىء فى مجتمعنا على مواضع حياتنا ، وطريق المعالجة لما نحن فيه ..

الأمر : الذى يجعل هذا الكتاب :

سلوة القارىء . ومتعة الباحث .. وحاجة ملحة الاجتماعية ..

دار